

الصحة النفسية في الفكر الإسلامي

دراسة فلسفية تربوية نفسية

الدكتور

موفق أيوب محسن

جامعة ديالى / كلية التربية الأساسية

إسلامية المعرفة لا تهدف إلى بناء فرع جديد في علم النفس بقدر ما تهدف إلى
بناء علم نفس يناسب المجتمعات الإسلامية يكون متميزا في نظرياته
وموضوعاته ومناهجه عن علم النفس في المجتمعات المختلفة ،

شكر وتقدير

لايسعني إلا أن أتقدم بالشكر الجزيل إلى السيد رئيس جامعة ديالى الأستاذ الدكتور عباس فاضل الدليمي المشرف الأول على هذه الأطروحة الموسومة (المضامين التربوية للصحة النفسية في الفكر الإسلامي) والتي بحثت في فلسفة فلاسفة شموليين لم يأخذوا استحقاقهم منا كتربويين ونفسانيين

كما أزجي شكري وامتناني لأحد أعلام جامعة بغداد الأستاذ الدكتور العلامة وهيب مجيد الكبيسي المشرف الثاني على هذه الأطروحة من جهة منهجية هذا البحث وإجراءاته وتنسيق أفكاره وموضوعاته وعرض نتائجه ومناقشتها ، (وفوق كل ذي علم عليم).

مقدمة للقارئ لا بد منها

الحمد لله الذي لا شريك له ، الأول بلا بداية في أزليته ، الآخر بلا نهاية في أبديته ، الظاهر فوق كل شيء ببديع صنعته ، الباطن في كل شيء بعلمه وقدرته ، الذي نورّ قلوب العارفين بمصابيح معرفته ، واختصهم بقربه وأجلسهم بحضرة جمال بهجته ، وألبسهم خلع رضاه وسقاهم كأس محبته ، وأفاض عليهم أنوار علمه وحكمته . واشهد أن محمدا عبده ورسوله آخر نبي ورسول نبأه الله وأرسله برسالاته ، صلى الله عليه واله وأصحابه وأهل ملته ما تحرك متحرك وماسكن ساكن بحول الله وقوته . . . وبعد

إن الباحثين في الدول الإسلامية في المجال التربوي والنفسي لا يتقربون كثيرا من البحث لفلاسفة شموليين على خلفية أن ما يخرج من مادة تربوية او نفسية من فلسفتهم لا تشكل إلا الجزء اليسير في المجال التربوي والنفسي مستنديين على خلفية أن المجال الذي يبحثون فيه هؤلاء الفلاسفة هو المجال الفلسفي المتمثل بـ القدماء الخمسة (الله ، النفس ، الهولي، الزمان ، المكان) ولذلك حُصرت أغلبها في أقسام الفلسفة في كليات الآداب وأُنيطت إلى طلابها وباحثيها ، وتعتبر هذه الدراسة واحدة من المحاولات التي تجاوزت ذلك المفهوم أو الخلفية وعرضت نصوص نفسية أي ما يخص العلم بالنفس وأقسامها وحالاتها من فلاسفة شموليين وبالذات ركزت الدراسة على ما يهدي الفرد لصحة نفسية من وجهة نظر هؤلاء الفلاسفة وبطريقتهم التحليلية للنفس كالتأكيد على الفضائل النفسية تجاه الرب والنفس أو الفضائل الاجتماعية تجاه سياسة الفرد حيال مجتمعه على أساس أنها الضامن الوحيد لحياة نفسية سوية أي تتسم بالصحة النفسية ، ثم استخرجت من تلك النصوص النفسية مضامين تربوية وبوسيلة إحصائية (تحليل المحتوى) التي تعد إحدى مناهج البحث العلمي في مجال العلوم الاجتماعية والإنسانية ، وان سبب

استخدام هذه الأداة البحثية هو لمنح هذه الدراسة القدرة للحصول على بيانات ثرة
تعكس قطاعا عريضا من المناخ السياسي والديني والاجتماعي لتلك الفترة التي
أنتجت فيها تلك النصوص.

لقد قمنا باختراالات كثيرة وأظهرنا موضوع البحث الموسوم لأطروحة الدكتوراه
(المضامين التربوية للصحة النفسية في الفكر الإسلامي) حسب المتعارف عليه
وصممناها ككتاب متوخين أن تعم الفائدة في هذا المجال لكون هذه الدراسة ربطت
بين الفلسفة والتربية وعلم النفس فهي دراسة فلسفية تربوية نفسية.
والله الموفق.

الفصل الأول

علم النفس الإسلامي

ان علم النفس الإسلامي هو اقرب العلوم إلى علم النفس الفلسفي لان رؤيته ذاتيه في الغالب علما أن الذاتية هذه تفرض نفسها من خلال البحوث التجريبية التي تخضع للملاحظة والتنبؤ والتحكم لان الذات هي التي تحلل النتائج وتوجه البحوث وتفسرها وتؤولها ، وكما ورد في موسوعة (أحفني، ٢٠٠٥) انه لا يمكن لعلم النفس أن يقطع صلته بالفلسفة لان العلم يمكن أن يجيب على السؤال كيف ، ولكنه لا يمكن أن يجيب على السؤال لماذا ، وهذه اللماذا من اختصاص الفلسفة لكونها ليست علما ميكانيكيا والإنسان موضوعه ليس كالموضوعات الطبيعية الأخرى، فالإنسان به (كلاية) يطلقون عليها في الفلسفة اسم (الماهية) ، والإنسان هو الوحيد الذي له ماهية من كل الكائنات ، وماهية الإنسان تتجاوز التجريب ، ولا يمكن التعامل مع الماهية والتصدي لها إلا من خلال الفلسفة ، لان الفلسفة هي علم الماهية ، ومن الممكن تحليل التفكير ، أو الاتجاهات مثلا ، ومن غير التكهن بالمعنى الذي سينصرف إليه التفكير ، أو الذي سيكون عليه الاتجاه ، وعلم النفس وحده لا يكفي لمعرفة الإنسان ، وإنما المطلوب دائما هو علم نفس فلسفي ، يدرس السلوك وقصديته ، والشعور وماهيته ، وليست المسألة في علم النفس في استخدام الأدوات الدقيقة وإجراء التجارب المضبوطة ، لان الذي وراء الأدوات والتجارب ذاتا مفكرة ومشاعر ونوايا وخواطر وإرادة

ماذا يعني علم نفس إسلامي:

إن التعريف الأشهر عند المختصين في المجالين التربوي والنفسي لعلم النفس هو: الدراسة العلمية للسلوك أو علم دراسة السلوك وكلمة (علم) هنا يعني: أن له منهجه وطرقه في البحث ويقوم على افتراض الفروض والتجريب عليها، ثم يتوصل بعد ذلك إلى النتائج التي تكون جاهزة للتطبيق في مختلف المجالات.

لاشك أن الصراع بين المناهج النوعية من جهة وبين المناهج الكمية من جهة أخرى داخل الأوساط العلمية والأكاديمية قد أخذ مراحلاً زمنية ليست بالقليلة خرج بحصيلتها المتمسكون بإخضاع المعرفة للتكميم والإحصاء بإصدار حكم نهائي لصالح المناهج الكمية مستنديين على مبدأ مفاده؛ إن الوصول إلى مرحلة الدراية والتشخيص والمقارنة والتفسير والفهم والاستنتاج وأساليب النقد العلمي الصحيح لا يتم إلا باستخدام الوسائل الإحصائية بغية الوصول إلى الهدف بكل موضوعية وأمانة ودقة عالية

إن مامر أنفا بالرغم من أهميته الكبيرة في مجالات الحياة، إذ أنه أوصل الكثير من المجتمعات إلى التقدم والرقي في البناء والسلوكيات ذات الإيحاء العالي باحترام

الذات الإنسانية إلا انه ومع كل هذه الايجابيات والانجازات للإنسان والمجتمعات نرى انه لا يمكن استخدامه بشكل مطلق بما احتوى عليه الفكر الإسلامي من نصوص قرآنية وأحاديث نبوية ، فمثلا كيف يتم قياس آية الطلاق ، أو تكميم آية الميراث ، أو آية الجهاد أو آية المنافقين الخ ، هذا الكلام إذا ما نظرنا إلى النص القرآني من زاوية المتمسكين بمبدأ ؛ كل شيء غير قابل للقياس فهو ليس بعلم نفس .

إن تأثير المدرسة السلوكية لازال قويا جدا على علم النفس اليوم ، وهي منذ مؤسسها واطسون Watson قد أنكرت إمكان ترسيخ هذا العلم على الاستبطان أو متابعة تدفقات الإدراك ، لان كل علم هو بالنتيجة ظاهرياتي ، وبالتالي فان علم النفس حسب رؤيتها لا يخرج عن هذه القاعدة ، وتنفي السلوكية أن أحدا يستطيع رؤية الحواس الداخلية وانما يظهر ذلك من خلال ما تعكسه من سلوك إنساني أو فعل سواء كان إنساني أو حيواني ، ومعنى هذا أنها محاولة لجعل علم النفس علما طبيعيا ، لكنه صار علما ألغى النفس في الإنسان، بعد أن الغوا وعيه ، إنهم الغوا اشد ما في الإنسان إنسانية وصميمية؛ انتزعوا منه روحه .

وحتى لا نذهب بعيدا فان الفكر الإسلامي ليس كل ما فيه غير قابل للقياس أو التكميم وإنما فقط فيما يخص الشرط الأول من مصادر التشريع المتمثل ب:
٠١ بالوحي (القران والسنة) ، وهي تمثل المصدر الثابت لأنهما يحددان الرؤية الكلية النهائية للإنسان المسلم ، وما ينتج عنها من محصلات تربوية ونفسية واجتماعية واقتصادية وسياسية.

٠٢ أما الشرط الثاني وهو (الوجود) والذي يمثل المتحرك من مصادر التشريع فيخص آراء الفقهاء والعلماء والفلاسفة من الصدر الأول إلى يومنا هذا ، وهذا ممكن إخضاعه إلى التكميم أو القياس ، كدراسات للظواهر النفسية الناتجة من

عمليات التطبيق لمحتوى المعاملات في الدين الإسلامي فضلا عن تناسب بعض المناهج في تحليل ما احتوته الأدبيات الإسلامية .

ومن خلال الاطلاع على اغلب التحليلات النفسية في تفسير الآيات القرآنية وما احتواه الفكر الإسلامي من ثراء فكري تبين ما يأتي:

٠١ إن تفسير الآيات القرآنية من ناحية علم النفس هو في الغالب إسقاط المصطلحات النفسية التي اكتشفها علماء الغرب الكبار كـ فرويد وادلر ويونج وبياجيه وواطسن ... وغيرهم على مسائل العقيدة الإسلامية كالكبت ، والعقد النفسية ، والحيل الدفاعية وغيرها .

٠٢ إن هذا وان كان ايجابيا إلا انه لا يغطي ما نصبوا إليه كمسلمين من إثراء لهذه العقيدة ودعمها بتحليلات نفسانية سواء كان التحليل للنص القرآني أو ما صدر وازدهر للعقيدة الإسلامية من أدبيات ومؤلفات اجتماعية أو فلسفية تتماشى ومتطلبات متغيرات العصر للمجتمع المسلم لتشكل منهجا إنمائيا أو وقائيا في الصحة النفسية للفرد من جهة ، والارتقاء بعلم النفس الإسلامي لدرجة يكون قادرا فيها على إثبات وجوده في الساحة الأكاديمية الدولية.

٠٣ التحليلات النفسية في مسائل ماجاءت به العقيدة الإسلامية من نظم للحياة تعد قليلة قياسا لما أنتجته المجتمعات الغربية لنظم حياتها وعاداتها والتنبؤ بالظواهر المحيطة بها لرسم سياسة مستقبلها، ونعتقد أن هذا راجع إلى خشية الباحثين من أن كتاباتهم وبحوثهم في علم النفس الإسلامي سوف تلاقي الإهمال من المحافل العلمية الدولية بسبب عدم إخضاعها إلى التكميم والقياس النفسي خصوصا المجتمع الأمريكي الذي تجذرت فيه مبادئ المدرسة السلوكية بمرحلتها (التقليدية والجديدة).

انفراد علم النفس الإسلامي

وتأسيسا على ما ذكرنا فإن انفراد علم النفس الإسلامي بـ (النبيّة) على أساس أن كل أعمال الإنسان مشروطة بها ، فضلا عن أعلى مسائل الدين وهو (الإيمان) جعله ذا خصوصية عالية لأنه لا يمكن إخضاع تفسيرها نفسيا إلى وسائل إحصائية ونعني تكميمها وقياسها حسبما المتعارف عليه في الأوساط العلمية كما أسلفنا .

إن علم النفس الإسلامي يعني ؛ المعرفة بالنفس وأحوالها وأقسامها وحالاتها على وفق ماجاء في الثابت والمتحرك من المصادر الإسلامية .

وفي ضوء هذا التعريف نرى أن علم النفس الإسلامي هو اقرب العلوم إلى علم النفس الفلسفي لان رؤيته ذاتيه في الغالب علما أن الذاتية هذه تفرض نفسها من خلال البحوث التجريبية التي تخضع للملاحظة والتنبؤ والتحكم لان الذات هي التي تحلل النتائج وتوجه البحوث وتفسرها وتؤلّفها ، وكما ورد في موسوعة (أحفني ، ٢٠٠٥) انه لا يمكن لعلم النفس أن يقطع صلته بالفلسفة لان العلم يمكن أن يجيب على السؤال كيف ، ولكنه لا يمكن أن يجيب على السؤال لماذا ، وهذه للماذا من اختصاص الفلسفة لكونها ليست علما ميكانيكيا والإنسان موضوعه ليس كالموضوعات الطبيعية الأخرى، فالإنسان به (كثيية) يطلقون عليها في الفلسفة اسم (الماهية) ، والإنسان هو الوحيد الذي له ماهية من كل الكائنات ، وماهية الإنسان تتجاوز التجريب ، ولا يمكن التعامل مع الماهية والتصدي لها إلا من خلال الفلسفة ، لان الفلسفة هي علم الماهية ، ومن الممكن تحليل التفكير ، أو الاتجاهات مثلا ، ومن غير التكهّن بالمعنى الذي سينصرف إليه التفكير ، أو الذي سيكون عليه الاتجاه ، وعلم النفس وحده لا يكفي لمعرفة الإنسان ، وإنما المطلوب دائما هو علم نفس فلسفي ، يدرس السلوك وقصديته ، والشعور وماهيته ، وليست المسألة في علم النفس في استخدام الأدوات الدقيقة وإجراء التجارب المضبوطة ، لان الذي وراء الأدوات والتجارب ذاتا مفكرة ومشاعر ونوايا وخواطر وإرادة .

٠١ نظرة نقدية

٠١ نظرة نقدية تاريخية- إسلامية للدراسات النفسية

أن للعلماء المسلمين السابقين إسهامات كثيرة وهامة في الدراسات النفسانية ، إلا أنها لم تحظى باهتمام الباحثين في تاريخ علم النفس لمعرفة دورها الهام في تقدمه وتطوره عبر عصور التاريخ ، فالمؤرخون الغربيون لعلم النفس يبدوون ، عادة بالدراسات النفسانية عند مفكري اليونان ، وبخاصة أفلاطون وأرسطو ، ثم ينتقلون بعد ذلك مباشرة إلى المفكرين الأوروبيين في العصور الوسطى ، ثم في عصر النهضة الأوروبية الحديثة ، وهم يغفلون إغفالا تاما ذكر إسهامات العلماء المسلمين التي ترجم كثير منها إلى اللاتينية ، وأثرت تأثيرا كبيرا في آراء المفكرين الأوروبيين أثناء العصور الوسطى وحتى بداية عصر النهضة الأوروبية ، علما انه لا يخفى على المؤرخين فضلا عن الباحثين الدور الرائد للفتوحات الإسلامية ، وخضوع كثير من الشعوب المختلفة ذات الثقافات المتباينة للمسلمين، لكل منها علومها وفنونها مما أدى إلى اتساع دائرة العلوم والمعارف أمام هؤلاء المسلمين وتراءت لهم ميادين جديدة تبهر أنظارهم ، وتأخذ بقلوبهم ٠٠٠ ولقد ازداد تعلق

عقولهم بها على اثر الترجمة التي نشطت نشاطا كبيرا أيام العباسيين ، ولم يكن المترجمون مجرد نقلة حملوا تراث الأمم القديمة إلى عصرهم ، والى لغتهم دون تدبر فيه، ولكنهم أمعنوا النظر في هذا التراث ، وقلبوا فيه الرأي وكان لهم من هذا وذلك آراء خاصة ، وأفكار مستقلة واستنباطات حرة ، ولم تكد الآراء والأفكار الأجنبية تذاق بين المسلمين حتى ظهرت آثارها الفاعلة في جميع نواحي حياتهم العقلية ، فيها استناروا ، وعلى أسرارها وقفوا ، وبما فيها من خير تهذبوا وتأدبوا ، ولكن بعد أن مزجوها بتعاليم دينهم مزجا جعلها صالحة للحياة والخلود ، ولم يختص هذا الأثر الفلسفي طائفة خاصة من المسلمين دون طائفة ، ولكن شمل جميع الطوائف على اختلاف مناحيها ، وتباين نزعاتها وظهر ذلك جليا على سبيل المثال في مؤلفات أعلام الفلاسفة كالكندي والفارابي ولا يسع العالم الباحث في العصر الحديث إلا أن يقف أمام هؤلاء موقف الإعجاب والإكبار .

ومما يدعو للأسف أن إغفال ذكر إسهامات العلماء المسلمين السابقين في الدراسات النفسانية ليس مقصورا على مؤرخي علم النفس الغربيين ، بل نجد أيضا أن المختصين والمشتغلين والباحثين في هذا المجال من العرب المعاصرين الذين يدرّسون في الجامعات العربية مقررات تاريخ علم النفس بما في ذلك الصحة النفسية ، يحذون حذو المؤرخين الغربيين في إغفال الإشارة إلى هذه الإسهامات، والمصدر الوحيد الذي يرجع إليه الفضل في معرفتنا الحالية هو مؤرخو الفلسفة الإسلامية من العرب ومن غير العرب ، الذين أمّدونا بملخصات مفيدة عما قالوه في النفس ، غير أن هذه الملخصات ، بالرغم من أهميتها الكبيرة ، إلا أنها غير كافية لإشباع رغبة علماء النفس العرب المعاصرين في معرفة الكثير عن آراء العلماء المسلمين السابقين في الموضوعات النفسانية المختلفة ، مما يمكنهم من تقدير القيمة العلمية لإسهاماتهم في تقدم علم النفس وتطوره عبر عصور التاريخ ، كما بين (دون لويس لوخاس) أستاذ علم النفس في كلية الطب جامعة غرناطة مخاطبا

المجتمع العربي؛ "انصحوا المبهورين بحضارة الغرب أن يعيدوا النظر فيها ، احذروا أيها العرب ، أيها المسلمون أن تخلطوا تصوراتكم بالحضارة الغربية فلا تتطلعوا إليها تطلع الممجد لها ، المعظم لشانها ، أنها ستبلى ٠٠٠ إن اخطر ما يواجهكم هو الشعور بالنقص تجاه الحضارة الأوربية ، والثقة بكل ماياتي من خارج البلاد"

ب . نظرة نقدية تربوية- نفسية إسلامية للصحة النفسية.

ان علم الصحة النفسية في حقيقة الأمر اقرب فروع علم النفس الحديث إلى الإسلام ، لأنه ازدهر في العصور الإسلامية ، وألف السلف فيه الكتب ، ووضعوا البرامج في التنمية والوقاية والعلاج فلم تكن هذه العصور عصور ظلام في الصحة النفسية كما كانت في أوربا ، فضلا عن أن موجبات الصحة النفسية في الفكر الإسلامي تشتمل على بعدين مهمين هما غير ذا قيمة لدى بعض الفلاسفة القدماء والباحثين الغربيين لاسيما بعد النهضة الأوربية الذين انفصمت بينهم وبين الكنيسة عرى الانتماء الفكري والديني والبعدين كما نظر لهما فلاسفة ومفكري الإسلام هما **(البعد الروحي ، والبعد الغيبي)** وأثرهما في الصحة النفسية للإنسان المسلم مما جعل معيار المسلمين يقف على طرفي نقيض من معيار العلماء غير المسلمين في النظر إلى التعريف وما يرافقه من نقد وتحليل وتفسير .

ولما كانت الأدبيات الغربية قد اقتصرت على دراسة موضوع الصحة النفسية (الفردية) ، وقد كان هذا احد نتائج قيام المشروع الغربي الصناعي على الفلسفة الفردية (الفرد المنتج _ المستهلك) بعد أن تم تحطيم الأطر المؤسسية الاجتماعية التقليدية المعيقة لانخراط الطاقات الفردية في مؤسسات المجتمع المدني التي تخدم أغراض الإنتاج مما يعني أن علم الصحة النفسية في الغرب نشأ وتطور

ونمى فرديا في المقام الأول ، مما جعل علماء النفس الغربيون يقتصرون في دراساتهم على أمراض نفسية معدودة مثل الكآبة والهستيريا والقلق والفصام وأمثال ذلك ، بينما نجد الأمراض الموضوعة على طاولة البحث في الفكر الإسلامي تتسم بالشمول والإحاطة بكل مايعتبر خلا و عدم اتزان في البعد النفسي والأخلاقي والاجتماعي وحتى البعد الغيبي، وهو علاقة الإنسان مع خالقه ، فمثلا النفاق والحسد والجبن والأنانية والطمع في الثراء الفاحش والرغبة في العدوان تعتبر أمراضا نفسية وأخلاقية في المفهوم الإسلامي للشخصية ولا تعتبر كذلك في المفهوم الأرضي والفكر البشري، حيث أن الروح ذلك البعد الفذ (اللامرئي) في الشخصية المسلمة ، يشكل الجانب الأهم في حياة الفرد والجماعة . وهذا الكائن العجيب (الإنسان) إن هو إلا مزيج من نفخة الروح وقبضة الطين ، وهو أبدا" متردد بين الاستجابة لمطالبهما التي لاتنتهي .

وإذا كانت إشارات علماء المسلمين- وأعلامهم- للصحة النفسية أنها تتكامل في مفهوم حسن الخلق ، وثوابه في الآخرة ، فكيف سيكون موقف علم النفس الحديث تجاه هذا المفهوم وقد ابتعد نهائيا عن القول بوجود (نفس أو روح) وراء الظواهر ، باعتبار أن النفس شيء لايمكن بحثه علميا، كما عدلت العلوم الطبيعية عن القول بالجوهر، أو الطبائع المستقرة وراء الظواهر الطبيعية ، فان الأمر في النفس الإنسانية مختلف اشد الاختلاف عن الأمر في سائر العلوم الطبيعية الأخرى ، وذلك يرجع إلى أننا ندرس الظواهر الطبيعية من خارج منفصلة عنا ، نلاحظها من بعيد ونخضعها لتجاربنا ، وعلم النفس الحديث الذي أصبح علما إنما يفعل ذلك حين يدرس الإنسان كأنه قطعة من الحجر أو النبات أو الحيوان، يلاحظ سلوك هذه الكائنات من خارج ،كيف تتأثر بالبيئة التي تعيش فيها وكيف تؤثر فيها ، دون أن يدخل إلى باطن الحجر، أو الشجرة، أو القطة ليعرف ماذا يدور بخلدها ، كما أن مثل هكذا توجهات كيف ستنتظر إلى أن الإيمان بالله، وبالغيب، وبالملائكة مثلا هي

إحدى أساسيات الصحة النفسية لدى الفكر الإسلامي الذي له مرتكزات عقائدية دينية تنذرهم من الانحراف عن هذا الخط الذي فيه خلاصهم من أهوال يوم الحشر وعقوبات الحساب في الآخرة .

ولما كان الكثير من مدارس علم النفس (الشعور) باعتباره شيئاً لا يرى بالعين المجردة من مجال دراستها لأن مثل هذا البحث لا يتفق مع الأساليب العلمية ، ولكن هذا الإلغاء لا يعني بحال ما أن الشعور لا وجود له ، وان الإنسان لا يحس بحريته واختيار ما يؤثره ، وإلا كان الإنسان لا يعدوا أن يكون قطعة من الحجر ، أو كريحة في مهب الرياح لا حول له ولا قوة، وليس له سلطان على نفسه ، ولا يستطيع أن يسموا إلى آفاق عليا، ومنها الآفاق الروحية الدينية، فالكثير من الدراسات التي حاولت الكشف عن السلوك الاجتماعي تمت في الغرب ، وعلى أسس وأصول ، وفي إطار مفاهيم وافتراضات غربية ولذا فان تلك الدراسات والكشوفات قد تفيد المجتمعات الغربية ، لأنها خرجت من رحم ثقافتها أما نحن فان الدراسات النفسية الاجتماعية لدينا محدودة جدا ، وما يتم منها يجري على أسس علمية أجنبية عن ثقافتنا ؛ مما يجعل استيعابها لواقع المجتمعات الإسلامية قاصرا، كما أن قدرتها على توجيه سلوك المسلم ضعيف .

ولقد أنتقد (القمودي) غياب البعد الروحي والغيبى في نظريات علم النفس والصحة النفسية بقوله ؛ (إن في علم النفس شيء من العلم ، لكنه في الحقيقة علم بدون نفس وبدون عقل بدون إنسان بما هو إنسان ولهذا أسباب عديدة لكن السبب الأهم منها هو أن النفس والعقل يستعصيان على مناهج علم النفس ، وهما قبل ذلك لا يحظيان باعترافه بهما ، كثنائية يتمايز احدهما عن الآخر ن وهو (أي علم النفس) أما أن يخلط بينهما ، أو أن يدمجهما معا مع الجسد ، في صورة بيولوجية فسيولوجية واحدة، خالية من أي معنى إنساني، وهو لذلك السبب في حاجة حقا إلى فلسفة، تفق وراءه، تسنده، تدعمه، تنقذه من الشتات والتبعثر .

ولقد أشارت الأدبيات التربوية إلى انه عندما تصبح الصحة النفسية هدف أساسي من أهداف المجتمع فإن ذلك يأتي من باب تحقيق النمو والتكامل والتقدم المضطرد ، ومن اجل أن يتزود بالمناعة اللازمة ضد الاضطرابات الفكرية والاجتماعية والاقتصادية فإن المجتمع يودع هذا الهدف إلى مؤسساته كافة ويطلب ترجمته إلى الواقع الفعلي على أفضل صيغة وأتم حال .

كما أن غياب التوجهات الفلسفية والفكرية الإسلامية الداعية إلى الإيمان بما يؤمن به المسلمون من أخلاقيات في مجالات الحياة المختلفة في علم النفس لاسيما في مجال الصحة النفسية سيبثها حتما ضعف في الجانب التربوي للأفراد(المسلمون) والمتمثل بالأفكار والقيم والممارسات التي يستجيب لها الفرد من خلال العملية التربوية وهذه العملية التربوية سوف لاتستطيع أن تستمد قوتها من قوة العقيدة الإسلامية لأنها غائبة أصلا"من مناهجها النفسية سواء كانت على مستوى المؤسسات التربوية الرسمية(ذات التربية المقصودة) أو على مستوى النشاط المجتمعي (ذو التربية غير المقصودة) .

٢٠٠ البعد الديني

أ٠٠ نقد غياب البعد الديني في الصحة النفسية

إن غياب البعد الديني في الصحة النفسية جعل ظاهرة ضعف الوازع الديني والمعايير القيمية أو غيابهما أحيانا منتشرة ، مما نتجت عن ذلك اضطرابات سلوكية في حياة الأفراد مما أفقدتهم الحماية الاجتماعية والتربوية في الأسرة والمجتمع والتفاعل الايجابي مع الآخرين والعضوية النافعة في الجماعة.

لقد اهتم الغرب بالصحة النفسية من غير الرجوع إلى تقوية العقيدة الدينية والمسائل الإيمانية وعلى الرغم من تطورهما بإصدار الكتب والمراجع والدوريات والنشرات التوجيهية الخاصة بالصحة النفسية ، وظهور العديد من المؤسسات ومكاتب التوجيه والإرشاد النفسي لمساعدة الأفراد على تحقيق الصحة النفسية وتدعيمها لديهم ، فقد وجدوا أن هناك تزايدا في عدد المؤسسات والعيادات النفسية التي تقوم على علاج الاضطرابات النفسية التي تتزايد يوما بعد يوم، والتي من أهم مظاهرها زيادة حالات الانتحار الفردي والجماعي ، هذه الظاهرة التي إن دلت على شيء فإنما تدل على اليأس من الحياة ، وعدم القدرة على الوصول للصحة النفسية ،

لأنهم ضلوا الطريق الصحيح للوصول إليها ومن ثم فقد أحس الفرد في طول العالم وعرضه أنه في سفينة انقطعت أسبابها بالبر .

وهكذا نرى بأنه على مستوى المجتمع الإسلامي فإنه من المؤسف حقا أن لايتبنى في مناهجه النفسية الرؤية الإسلامية التي تربي الفرد مثلا على الفضيلة والخير كمؤشرين للصحة النفسية ثم تأتي تباعا المرذونات التربوية كمضامين لهذه المؤشرات فيتعلم المسلم كيف يتحمل مسؤولية أفعاله وأعماله ، وكيف يكون راع وهو مسؤول عن رعيته ، وبذلك تكون التربية مدعاة إلى إقامة مجتمعا قويا يستمد قوته من قوة أفراده ، فيكون مجتمع العدل والمساواة وغلبة المصلحة العامة على الخاصة ، خصوصا أن مثل هذه الممارسات معززة بمكافآت يجد ألسلم ربحها في الدنيا ثم في الآخرة .

إن النظام التربوي في الدول الإسلامية يركز في أساسه على الإيمان بالله عزوجل وعلى اعتبار الإنسان قيمة عليا فيه ، كما يركز على كون التربية عملية اجتماعية وعلمية ، تستمد أسسها من خصائص المجتمع العراقي الدينية وقيمه الوطنية والاجتماعية والإنسانية ، وان أعظم هذه الخصائص الدينية للمجتمع الإسلامي هو القران العظيم ،لان ذلك يسهم في تحقيق أهم أهداف المجتمع التربوية وهو تعميق العقيدة الإسلامية وترسيخ الإيمان بالله عزوجل ، فضلا ما يوفره للتربية في العالمين الإسلامي والإنساني من معطيات ، فالرأى الراجح الذي رآه بعض المفكرين أن التربية الوضعية على الرغم مما أنتجته من حضارات وثقافات دنيوية أخفقت في التربية الإيمانية والإعداد للحياة الآخرة .

إن عدم إدخال الرؤية الإسلامية (من فلسفة وفكر، ومضامين تربوية) خصوصا في المناهج النفسية يعطي دلالة واضحة على إهمالنا للتراث الإسلامي وان هذا الإهمال يتضح في ميدان التربية أكثر من غيره من الميادين الأخرى ،

فضلا عن أن مسألة إهمال التراث ولدت (تبعيَّة) فكرية لدى أفراد المجتمع الإسلامي للتيارات الفكرية والأجنبية .

اهمية البعد الديني في الصحة النفسية

كانت من القضايا المطروحة على النخبة العلمية من المسلمين في الربع الأخير من القرن العشرين (إسلامية المعرفة) في علم النفس ، وكانت إسلامية المعرفة هذه لا تهدف إلى بناء فرع جديد في علم النفس بقدر ما تهدف إلى بناء علم نفس يناسب المجتمعات الإسلامية يكون متميزا في نظرياته وموضوعاته ومناهجه عن علم النفس في المجتمعات المختلفة ، فمن المعروف أن علم النفس ليس علم من هذه المجتمعات أي انه لا يحمل الصبغة الإسلامية التي تميزه عن المجتمعات الأخرى .

وإذا كان التقدم الروحي والأخلاقي يأتي من الثقافة التي تتولى تحديد أبعاده ودرجاته ومعاييره ، فان مواصفات المجتمع الذي من المؤمل أن تشيده امة الإسلام لا يمكن أن تكون مستمدة إلا من ثقافة المجتمع الإسلامي وقيمه الخاصة، ولا يعني هذا أن المسلمين لا يعبؤون بالمعايير العالمية ولكن تقويمهم الخاص لكل ما يرونه في المجتمعات الأخرى مع تمكنهم من ترشيده ونقده (بكار، ٢٠٠١، ص١٨٥)، وقد قدمنا موضوع اهمية البعد الديني في الصحة النفسية على النحو الآتي:-

٠١ مدخل عام إلى الصحة النفسية .

٠٢ الصحة النفسية في الفكر الإسلامي

٠٣ المضامين التربوية للصحة النفسية في الفكر الإسلامي

٠١ مدخل عام إلى الصحة النفسية:-

أدرك الإنسان منذ القدم الارتباط القائم بين الجسد والروح(النفس) وكان هذا الارتباط موضوعاً أساسياً من المواضيع الفلسفية التي شغلت الإنسان في بحثه عن إجابات لأسئلة كثيرة حول نفسه والعالم من حوله، لقد عرف أهمية الإحساس بالراحة النفسية أو (الصحة النفسية) كما عبر عنها اليوم من أجل قيام وظائفه الجسدية بعملها على أكمل وجه والعكس كذلك ولاحظ هذه العلاقة القائمة في أكثر من وجه وشغلت هذه القضية الفلاسفة والأطباء الصينيين القدماء والإغريق والعرب وما زالت حتى اليوم تشكل واحداً من أهم الموضوعات في علم النفس ، واليوم دخل الإنسان القرن الواحد والعشرين يحمل معه من القرن الماضي عبئاً ثقيلاً" من المشكلات الاقتصادية والبيئية والاجتماعية والثقافية والسياسية المعقدة منها ما هو قابل للحل ومنها ما يحتاج إلى جهود وتكاليف كبيرة ، ومنها ما هو خطر وشديد التهديد ولا يمكن حله بسهولة .

لقد شغلت صحة النفس وسقمها كما أسلفنا اهتمام المفكرين والعلماء لاسيما الحضارة العربية خصوصاً أيام العباسيين حيث مارسها وكتب فيها الكتاب الأطباء_ الفلاسفة ،كما أسست مستشفيات طبية عقلية في بغداد كانت تدار بأساليب العلاج والرعاية التي تضاهي أحدث طرق العلاج المعروفة راهنا، من مثل العلاج بالموسيقى ،والخضرة والطيب ،والعلاج بالموانسة ،وكذلك العلاج النفسي الأسري، ولم يعرف الطب العربي القديم طوال عصور ازدهاره الانفصال المصطنع ما بين النفس والجسد .

إن الحضارة العربية وان نمت في مختلف العلوم بما في ذلك علم النفس إلا أنها فصلت في تجاربها وأدبياتها بين الروح_ والجسد وتمايزت دولها فيما بينها

فالقاري لعلم النفس الغربي يجد ملامح تميز علم النفس في بريطانيا ، عنه في أمريكا وفرنسا وألمانيا ، وذلك بحسب اهتمامات علماء النفس بكل بلد وخلفياتهم الثقافية، والقضايا التي يشتغلون بها ، ومناهج البحث العلمي التي يستخدمونها ونظرتهم إلى الإنسان ، وفلسفتهم في الحياة ، لقد بات علماء المسلمين مقتنعين بضرورة بناء علم نفس وطني _إن جاز هذا المصطلح_ متميز عن علم النفس الغربي في نظرياته وقوانينه ومناهجه ، لان ماينطبق على الإنسان في المجتمعات الغربية لاينطبق عليه في المجتمعات الإسلامية بسبب اختلاف فلسفة الحياة وغاياتها وأهدافها وأساليبها .

ومما هو معلوم لدى الباحثين أن علم النفس ليس علما محايدا كالرياضيات والكيمياء والفيزياء بل علم يتفاعل ويتأثر بثقافة المجتمع الذي ينشأ فيه ، وبخلفية علمائه الثقافية والدينية ، فالمدرسة الروسية في علم النفس ارتبطت بالشيوعية التي تنظم حياة الناس في المجتمعات الشيوعية ، والمدارس الغربية ارتبطت بالرأسمالية والفردية النفعية التي تدين بها أوربا وأمريكا ، وتقوم عليها فلسفة الحياة في الحضارة الغربية ، لذا نجد علم النفس الروسي يختلف عن علم النفس الغربي في نظرياته وقوانينه واهتمامات علمائه .

كما اثبتت الدراسات النفسية أن الصحة النفسية تقوم بدور مهم في كل مجال من مجالات المجتمع مثل التعليم والصحة والحروب والاقتصاد والسياسة فكل ماكان العاملين في هذه المجالات يتسمون بالصحة النفسية نهضوا بها والعكس صحيح.

أن مجال الصحة النفسية هو التوافق النفسي،بمعنى أن تأتي التنشئة الاجتماعية بحيث تنمو شخصية الفرد متوازنة تتحقق بها احتياجاته ومطالب المجتمع،وتكيف مع مقتضيات البيئة،إن اصطلاح الصحة النفسية من المصطلحات النفسية الحديثة نسبيا التي ارتبطت بالطب النفسيPsychiatry ومثلها مثل الطب

النفسي كان الأصل في استخدامها سينصرف إلى الصحة العقلية كما كان الأصل في الطب النفسي انه الطب العقلي، وعندما انتقل الاصطلاح إلى اللغة الالمانية تغير إلى الصحة النفسية Psychohgiene باعتبار هذه الدعوة تتجاوز العلاج والعناية بالعقول إلى علاج النفوس والعناية بها، والاضطراب النفسي أشمل من الاضطراب العقلي والدعوة إلى الإصلاح تتوجه إلى نفوس الناس وصحة الفرد النفسية وكذلك صحة المجتمع النفسية على توجيه العناية بالأفراد في المجتمع ليأتي نمو الشخصية نموا متكاملا ومتوافقا .

أما الآن فلدعوة الصحة النفسية مجالات علمية باسمها، وهيئات دولية تشترك فيها معظم دول العالم ، وتعتقد المؤتمرات باسمها والصحة النفسية دعوة عريضة تأخذ بنصيب من كل العلوم، ويختلف تعريفها بحسب زاوية رؤية العالم المتصدي لتعريفها، وأصحاب الدعوة إلى الصحة النفسية يذكرون أن رسالتهم هي مساعدة الأفراد على أن تكون لهم البصيرة والشخصية للتصدي لمشاكلهم اليومية والقدرة على حملها وقد نسبه اريك فروم (erik from) إلى البعد الاجتماعي الذي يصنع الصحة النفسية من حيث أنها توافق الفرد المتمتع بالصحة النفسية هو المنتج الذي لا يستشعر الغربة النفسية في موطنه، الذي سحب الناس وينسب نفسه إلى العالم كله ويستخدم عقله ليفهم الواقع بموضوعية، ويسعي أن له فرديه واصاله ، وأنه والناس سواء، وأن البشر جميعا إخوة اذ تجمعهم أهداف واحدة وهي أن العيش في سلام مع النفس والعالم من حولنا، وأن نجعل من هذا العالم شيئا جديرا أن نعيش فيه، كما نجعل من الأنفس آدميين جديرين أن يعيشوا في هذا العالم، وتكون لهم السيطرة على مقدراته وتوجيهها إلى الخير دائما . الشخص الذي يتمتع بالصحة النفسية لا يمكن أن يقبل أن يعيش تحت نير الاستبداد، والاستبداد لا يمكن إلا أن يصنع من الأفراد الذين يعيشون في ظله مضطربين نفسيا ، والذي يتسم بالصحة النفسية لا يرضخ إلا لصوت العقل والضمير ، وفعله للخير ، وأتباعه للحق وطلبه للجمال ، وسعيه

للحرية ، كل ذلك ينبع من نفسه ، وهو يقدر الحياة ويعرف أنها أسمى ما يمكن أن يوهب للإنسان من النعم والخيرات ، ومن رأي فروم **from** أن كل ماسبق من قيم لا بد أن يشتمل عليه أي برنامج للصحة النفسية.

لقد أصبح للصحة النفسية منظرون وممارسون وباحثون (**فالمنظر**) **ideologist** يهتم بتنشئة الفرد صحيا وتوعيته بمقتضيات الصحة النفسية، (**والممارس**) **practitioner** يتوجه اهتمامه إلى العلاج النفسي وان تتوفر المصحات النفسية لهذا العلاج أما (**الباحث**) **researcher** يهيمه تطوير مفهوم الصحة النفسية وإجراء الدراسات والقيام بالتجارب التي هدفها دفع عملية التطور ، إن الدعوة للصحة النفسية هي "قيمة" أو "إيديولوجية جديدة إصلاحية" أو بالأحرى "قيمة كبرى" أو "سيدة القيم" جميعها .

ولما كانت الدعوة للصحة النفسية هي قيمة إيديولوجية إصلاحية (لان في مثل ظروف العلم الذي وصلت إليه حضارة الإنسان المعاصرة، فأن من الطبيعي أن يرافق هذه الزيادة في المشكلات المحيطة بالإنسان ، والاضطرابات التي تصيبه ، اتساع بالاهتمام بها يظهر بشكل خاص لدى الباحثين المعنيين بإنسان وحياته النفسية والاجتماعية ، فالطمأنينة النفسية للأفراد ليست ذات مكانة هامة في توفير السعادة لهم فحسب ، بل هي كذلك ذات اثر بالغ في توفير الأمن والاستقرار للمجتمع الذي يعيشون فيه) ، ولاشك أن المهتمين بميدان علم النفس والصحة النفسية والأطباء النفسانيون قد أولوا الصحة النفسية اهتماما واسعا ، وذلك يأتي من باب أن المجتمع الذي لايعير أهمية للصحة النفسية سيدفع ثمن تفشي الأمراض النفسية والاجتماعية فيه غالبا من حيث الجهد والمال ومن حيث اتساع دائرة سوء التوافق النفسي والاجتماعي

، لقد شغلت الصحة النفسية حيزا كبيرا في الأدبيات النفسية مما جعل الخطى تتسارع للاهتمام به وبتطبيقاته في بعض الدول النامية على اعتبار انه أمر واجب

تدعو إليه ضرورة ملحة تفرضها طبيعة الحياة الاجتماعية وطبيعة التقدم الذي نشأ عن التصنيع والتطور في المجتمع الحديث ، فالفرد المستقر نفسيا يقبل على تحمل مسؤولياته الاجتماعية والمهنية .

٢٠ الصحة النفسية في الفكر الاسلامي

يتطلب الواجب العلمي أن نقوم بتجزئة هذا الموضوع على أساس **الخلفية الفلسفية** أولا ثم الانتقال إلى **الجانب النفسي** ثانياً ، لأن هذا الموضوع يركز على وجه الخصوص بالنظرة إلى الفرد ببعديه الدنيوي والأخروي، إذ أن النظرة للفرد بطبيعته الإنسانية انضوت مرة تحت جناح الاختصاص ومرة أخرى تحت الخلفية العقائدية أو الفكرية أو الأنتمائية للفيلسوف .

إن **علماء الاجتماع** ينظرون إلى سلوك الإنسان من خلال صورته الاجتماعية وعلاقته بالمجتمع في حين **الجغرافيين** يظهرون من خلال دراساتهم العوامل التي تتحكم في سلوك المناخ وتوفر الطعام وسهولة المواصلات وتوزيع السكان والثروة الطبيعية ، أما **علماء الاقتصاد** فأشاروا إلى أن هذا الإنسان إما منتج أو مستهلك وبالتالي فهو عنصر من عناصر الإنتاج لا يقل أهمية عن رأس المال المادي وبعبارة موجزة فإنه لا يعد أكثر من كفاءة أو قدرة اقتصادية ، فضلا عن **علماء السياسة** الذين عدوه على انه باحث وراء القوة والنفوذ وهذه كلها نظرات جزئية للطبيعة الإنسانية تحتمها الطبيعة التخصصية للعلوم ، فيما أشار الدكتور الكس كارل (Alexes karel) الحائز على جائزة نوبل للآداب في كتابه الإنسان ذلك المجهول بقوله؛ انه لكي نحلل أنفسنا فإننا مضطرون إلى الاستعانة بفنون

مختلفة والى استخدام علوم عديدة ومن الطبيعي إن تصل كل هذه العلوم إلى رأي مختلف في غاياتها المشتركة، وفي الحق لقد بذل الجنس البشري مجهودا جبارا لكي يعرف نفسه ولكن بالرغم من أننا نملك كنزا من الملاحظة التي كدسها العلماء والفلاسفة والشعراء وكبار العلماء الروحانيين في جميع الأزمان فإننا استطعنا أن نفهم جوانب معينة فقط من أنفسنا ٠٠٠ أننا لانفهم الإنسان ككل ٠٠٠ إننا نعرفه على انه مكون من أجزاء مختلفة ٠٠٠ وحتى هذه الأجزاء ابتدعتها وسائلنا ، فكل واحد منا مكون من موكب من الأشباح تسير في وسطها حقيقة مجهولة ، وواقع الأمر فإن الجهل المطبق يجعل أغلب الأسئلة التي يلقيها أولئك الذين يدرسون الجنس البشري تظل بلا جواب ، لان هناك مناطق غير محدودة في دنيانا الباطنية مازالت غير معروفة ، فمن الواضح أن جميع محققه العلماء من تقدم فيما يتعلق بدراسة الإنسان غير كاف، وان معرفتنا بأنفسنا مازالت بدائية في الغالب ، يجب أن يكون الإنسان مقياسا لكل شيء .

إن الخوض في موضوع الطبيعة الإنسانية وان كان هو ميدان الفلاسفة إلا أن ذلك مهم أيضا بالنسبة للمشتغلين في ميدان العلوم التربوية والنفسية من غير الفلاسفة ، لان دراسة هذه الطبيعة ليست فقط ضرورية لتكوين أساس فلسفي للتربية وإنما هي ضرورية أيضا كخلفية لأي فكر يدلوه بدلوه في موضوعات فلسفية كانت أو فكرية ، اجتماعية ، تربوية ، نفسية أو في مجالات الحياة المختلفة لكي يشتق منها التعريف الخاص بالأشياء .

إن الطبيعة الإنسانية في الفكر الإسلامي طبيعة مزدوجة مكونة من حقيقتين مختلفتين أحدهما روحية سماوية وأخرى مادية أرضية فقال تعالى خالق هذه الطبيعة عن مبدأ الخلق " الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ثم سواه ونفخ فيه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ماتشكرون" وهذا يوجه مفكري الإسلام إلى القول بحتمية ازدواج

الطبيعة الإنسانية أي أن الإنسان جسد وروح ولهذا نجد فيها دوافع فطرية بعضها (مادي وبعضها روحي ومعنوي)، في حين أن الطبيعة الإنسانية مثلا لدى جون ديوي (jon dewi) احد مفكري الغرب والنجم الساطع في الفلسفة البرجماتية يشتق رؤيته من إيمانه بنظرية التطور التي جاء بها دارون وهذه النظرية تقوض الاعتقاد بوجود الخالق فهو يقصد بذلك أن الإنسان قد تطور من خلال سلسلة طويلة ومتعاقبة من حيوانات أحادية الخلية إلى حيوانات متعددة الخلايا ثم أخيرا ظهر على مسرح الحياة كوسيلة أفضل للتكيف وفق محيط معقد متقلب ، وهذا العقل لا يتميز عن عقول سائر الكائنات الحية من حيث النوع او المنشأ تمييزا جوهريا .

وهكذا نجد إن المقارنة بين ماتؤمن به هاتين الفلسفتين سقناها كمثال فيما لو أرادتنا كلا منهما تعريف الصحة النفسية ، وتبرز هنا علامة الاستفهام حول ماذا سيكون تعريف من يؤمن بوجود الله الذي خلق الإنسان ونفخ فيه الروح وجعله مستخلفا في الأرض وبين من يؤمن بأن الإنسان جاء نتيجة سلسلة متعاقبة من تطور الخلية الأحادية فهو قيمة عليا في الفلسفة الإسلامية وهو حيوان كغيره من الكائنات الحية من نظرة الفلسفة البرجماتية (جون ديوي) انموذجا .

وإذا كان قد تم إلقاء الضوء ولو بشكل متواضع على الخلفية الفلسفية للموضوع فأن ذلك سيمتد تأثيره على **الجانب النفسي** حيث نرى أن الصحة النفسية في الفكر الإسلامي تتمثل في (قدرة الفرد على تجريد نفسه من الهوى ، وإخلاص العبودية لله عزوجل بالمحبة والطاعة والدعاء والخوف والرجاء والتوكل مع القدرة على تهذيب النفس والسمو بها من خلال أداء التكاليف التي شرعها الله كذلك القدرة على التفاعل مع البيئة التي يعيش فيها فيسلك فيها السلوك المفيد والبناء بالنسبة له ، ولمجتمعها وبما يساعده على مواجهة الأزمات والصعوبات التي تواجهه بطريقة ايجابية . دون خوف أو قلق ، وتقبل ذاته وواقع حياته ، والتوافق مع المجتمع الذي يعيش فيه وهذه في مجموعها تحقق للفرد أقصى درجات الصحة

النفسية للشخصية المسلمة ، فاذا سعت النفس لتحقيق ما جاء آنفاً فذلك يعني أن (النفس ستصبح سوية وأنها ستلهم تفريق الصواب عن الخطأ وباستطاعتها التمييز بين التقوى والفجور، وتسلط السبيل السوي الذي يرضى عنه ربها لتشعر هي بالرضا الداخلي والراحة والطمأنينة ، وان مجرد دخول الإيمان الصحيح في القلب (القلب) إنما هو علامة على تكامل الوظائف النفسية ، فالتكامل النفسي في الإسلام شرط لازم غير كاف، لان الفكر الإسلامي لا يعتبر النفس ذات صحة وسليمة (أي سوية) إلا إذا انفتحت بصيرتها الباطنة واستنارت بنور الله .

لقد أكدت الأدبيات النفسية الإسلامية أن القرآن الكريم يستهدف تمتع الناس (بالصحة النفسية) ويعبر عنها بالحياة الخالية من الأمراض والعلل فهو يدعو الناس إلى الهداية والى عقيدة التوحيد والإيمان بالله وبرسوله وبالقيم الخلقية السامية التي تؤدي بالإنسان إلى سعادته في الدنيا والآخرة وذلك يتمثل بقوله تعالى " إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم"، كذلك يحض القرآن على الموعظة ويستهدف شفاء الصدور مما يحقق الهدى والرحمة للمؤمنين وذلك مصداقا لقوله تعالى " يا أيها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم وشفاء مما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين"، فالقرآن شفاء للنفوس المريضة .

أما بخصوص توافق الفرد مع مجتمعه فإن الإسلام لم يجعله قائما على الخضوع الآلي Automatic conformity ولم يجعله نسخة متكررة في النسيج الاجتماعي ، بل جعله توافقا مسؤولا ، قائما على بصيرة وإرادة الفرد ، الذي ألزمه بصلاح نفسه وصلاح الجماعة في ضوء شرع الله فإن تعذر عليه إصلاح الجماعة فعليه صلاح نفسه ، والخروج على هذه الجماعة ، لان التوافق مع فسادها ليس مطلبا للصحة النفسية ، ومعيار فساد الجماعة خروجها على شرع الله ، فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ، قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم " لا يكون أحدكم إمعة ، فيقول أنا مع الناس ، إن أحسن الناس أحسنت، وان أسوأ أسأت ، لكن

وطنوا أنفسكم ، إن أحسن الناس أحسنتم وإن أسوأ أن تجتنبوا إساءتهم " ، وقال صلى الله عليه واله وسلم "من اسخط الله في رضا الناس ، سخط الله عليه،واسخط عليه من أرضاه في سخطه، ومن أرضى الله في سخط الناس ، رضي الله عنه، وأرضى عنه من أسخطه في رضاه حتى يزينه، ويزين قوله وعمله في عينيه" .
وحيثما تنتقل من توافق الفرد مع الجماعة إلى توافقه مع نفسه والذي يدل على الصحة النفسية فذلك يتم في حدود ما أمر الله به ، ونهى عنه ، لاجسب الأهواء والشهوات ، فالمسلم مأمور بمخالفة هواه ، وقمع شهواته غير الصحية التي تغضب الله ، قال تعالى " فأما من طغى واثر الحياة الدنيا فأن الجحيم هي المأوى وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى"

٣ . المضامين التربوية للصحة النفسية في الفكر الاسلامي .

أنتج الفكر الإسلامي أفكارا وقيما وممارسات تربوية ، تعتبر الأجزاء التي تشكل مصطلح (المضامين) ، إذ كان ولا يزال ميدانها هو العملية التربوية سواء كانت هذه العملية على المستوى التعليمي "معلم ، متعلم ، منهج" أم كانت على المستوى الحياتي "تنشئة اجتماعية ، نشاطات مجتمعية ، قيم أسرية ، ولو أخذنا القيم التي تشكل جزء مهما من المضامين التربوية في الفكر الإسلامي لوجدناها كما هو معروف لدى العاملين في ميدان العلوم التربوية والنفسية والاجتماعية هي معايير ومبادئ وقوانين تمثل الحكم على أنماط السلوك المختلفة التي يقوم بها الأفراد وهي تعبر عن مدى الالتزامات الاجتماعية والأخلاقية تجاه أنفسهم ومجتمعهم ومعتقداتهم ، والفكر الإسلامي يعتبر القيم التي جاء بها الدين من علامات الصحة النفسية إذ جعل العلاقة بينها وبين الإيمان بالله عزوجل علاقة طردية ، وهذا فرق جوهري يميز المنظور الإسلامي النفسي للإنسان عما هو موجود من نظريات ومبادئ في

كل فروع علم النفس الناتج من الفكر غير الإسلامي والذي يدرّس في الجامعات العالمية والمحلية .

إن القيم في الفكر التربوي الإسلامي تقوم على أساس الإيمان بالله "جل جلاله" باعتبارها حقيقة مطلقة والتسليم بأحكامه التي هي في واقع أمرها قيم ربانية روحية لها تطبيقاتها المادية في الحياة تستهدف صالح الفرد والمجتمع على حد سواء ، ولما كانت القيم في الفكر الإسلامي تخضع لهذا المنطق فمعنى ذلك أنها ثابتة مطلقة وليست نسبية (كالعدل، الإحسان، الصبر، وغيرها) ، وموضوعية وليست ذاتية أي لاتخضع لتأويل الفرد ومزاجه وهواه ، وان لها سلما ثابتا متوازنا يعني أنها تجمع بين القيم الروحية التي يقف الإيمان على رأسها وبين القيم المادية بتفرعاتها العديدة التي هي تطبيق للقيم الروحية المنبثقة من تراثنا الإسلامي في إطار ينظم علاقة الفرد مع ربه، وعلاقته مع نفسه وعلاقته مع أخيه الإنسان .

أن مؤشرات الصحة النفسية أولا ومضمونها التربوي ثانيا تستمد وجودها وثباتها من الطاقة الروحية المنبعثة من شرف وسمو وعظمة القران الكريم فان مادعا إليه لتهديب السلوك هي دعوة إلى الصحة النفسية بكل مؤشراتنا خصوصا وان هذه الدعوة قد سندتها عظمة تطبيق مضامينها التربوية كعائد ربحي للفرد والمجتمع في دنياه وآخرته ، وعلى سبيل الشيء بالشيء يذكر فان لغة الدعوة القرآنية قد أبهرت المسلمين وغير المسلمين لسمو المضمون التربوي الذي تحمله . . . (حتى أن الفيلسوف الانكليزي "روجر بيكون" (roger bekon) قد تأثر بلغة القران وطالب تدريسها في الجامعات الأوروبية ، وكان أيضا متأثرا بعقالية المسلمين من أمثال الرازي، الفارابي، ابن الهيثم، ابن رشد وابن سينا .)

إن القران الكريم نزل أساسا لهداية الناس ولدعوتهم إلى عقيدة التوحيد ولتعليمهم قيما جديدة وأساليب جديدة من التفكير والحياة ، ولإرشادهم إلى السلوك

السوي الذي فيه صلاح الإنسان وخير المجتمع ولتوجيههم إلى الطرق الصحيحة لتربية النفس وتنشئتها تنشئة سليمة تؤدي إلى بلوغ الكمال الإنساني الذي تتحقق به سعادة الإنسان في الحياة الدنيا وفي الحياة الآخرة ،قال تعالى "وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا" ، ولاشك أن في القرآن طاقة روحية هائلة ذات تأثير بالغ الشأن في نفس الإنسان فهو يهز وجدانه، ويرهف أحاسيسه ومشاعره، ويصقل روحه ، ويوقظ إدراكه وتفكيره ، ويجلي بصيرته ، فإذا بالإنسان بعد أن يتعرض لتأثير القرآن يصبح إنسانا جديدا كأنه خلق خلقا جديدا .

وعلى الرغم من أن الموضوع ليس بصدد التحقيق في موضوع الأسلوب القرآني وبلاغته ولكن اقتضت الضرورة بالإشارة إلى أن هذه البلاغة وضحت علامات الصحة النفسية وتضمنت مردودات تربوية للفرد وعلاقته بالمجتمع وبالعكس وفيما يأتي بعض الأمثلة عن المضمون التربوي للصحة النفسية في الفكر الإسلامي ، قال تعالى "فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك" (آل عمران: ٥٩) فاللين من علامات الصحة النفسية، أما ما يحمله اللين من مضامين تربوية متوخاة هنا هو أن معاملة الناس بلطف توصل الحق لأهله دون أن تصد النفوس ، ودون إكراه ، حيث أن اللين واللين لا يكون إلا بعد تجاوز الذات ، ويكون المؤمن مطاوعا يتلائم مع مختلف الظروف القاسية والمصائب التي قد تحل به ، إذ تجده يميل إلى الله تعالى لاجئا إليه أن يرفع عنه محنته ، ويزيد من قدرة احتمالته مثبتا له على شرعه حتى يرفعها عنه فيزداد خبرة وقوة في المستقبل ، أما من حيث التوافق الاجتماعي فينسحب هذا المضمون التربوي على علاقته بأفراد المجتمع ، يتودد إليهم فيودونه ، وبهذا التصرف إنما يدافع عن نفسه ودينه بوقت واحد فيكون مثلا حسنا للإنسان المستنير بالله تعالى • ومما يزيد من تعزيز هذا المضمون التربوي في نفوس المسلمين قوله صلى الله عليه واله وسلم " حرم على النار كل هين لين سهل قريب من الناس " (رواه

الترمذي) لان لين الجانب والتهوين على الآخرين من علامات السواء وهذه الصفات تعتبر منجية من النار يوم القيامة لما قدمه للناس من خير، وهي عكس علامات الاضطراب أو اللاسواء مثل التشدد والتعصب والتعسير على الناس والتي رفضها الفكر الإسلامي جملة وتفصيلا.

الفصل الثاني فلاسفة شموليون

:الصحة النفسية عند فلاسفة الإسلام
(الكندي ، الرازي ، الفارابي)

توطئة مهمة

الفلاسفة الشموليون أولئك الذين لا يحدّهم مجال علمي معين وإنما يتكلمون في مجالات عديدة مثل النفس ، الفلك ، الجغرافيا ، العقائد ، الطب ، الموسيقى ، وهكذا وفي هذا الفصل سنقدّم الآراء التي بينت الرؤية الفلسفية للنفس وتقسيمها عند الفلاسفة الثلاثة ، وذلك لأن إقدام على كشف المضامين التربوية في مجال الصحة النفسية في الفكر الإسلامي من دون الرجوع إلى توضيح شروحاتهم في فلسفة النفس وماهيتها وكيف ينظرون لها ، سيكون أمرا يبدو فيه نقصا واضحا ، فصار لزاما علينا الرجوع إلى الخلفية التي يؤمن بها كل فيلسوف من هؤلاء الفلاسفة الرواد ، وقد عرضنا علم كل واحد منهم في النفس وتقسيماتها (أولاً) وبيان آراؤهم العلمية في سعادة الإنسان أو الفضائل والتي تدور في مدار واحد مع الصحة النفسية ، وما هو مصدرها وكيف تضطرب (ثانياً) ، ثم الكشف عن المضامين التربوية للصحة النفسية في فكرهم (ثالثاً) في الفصل اللاحق.

وقد تم تقديم كل فيلسوف على حدة بإيجاز مبينا ، اسمه ، أصله ، مولده ، وفاته ، حياته ، عصره و مؤلفاته ، إلا انه تم التركيز على نظرية كل واحد منهم وما قاله في (النفس ومكوناتها) ، كما فعل فرويد (Freud) من بعدهم والذي قسم النفس إلى ثلاثة مكونات (الأنا العليا، والانا، والهو)، فضلا عن أن هؤلاء الفلاسفة من أي منظار ينظرون إلى الصحة النفسية ؟ وماذا يسمونها في ذلك الوقت، وما مصدرها هل هو الفرد أم المجتمع ؟

وعلى الرغم مما قاله هؤلاء الفلاسفة في السعادة وأحوال النفس سواء كان (نظرية ، مقالة ، أو رسالة) والتي عدها القدماء ضمن المجال الفلسفي إلا أن المشتغلين في الدراسات النفسانية من المعاصرين حاولوا نقل أثرها إلى المجال النفسي كونها تعطي صورة واضحة عن تصور علماء الإسلام السابقين عن الإنسان وحياته النفسية وتفاعلاته الاجتماعية ، وبالتالي يمكن أن تقوم عليه ، أو تنبعث منه

، دراسات جديدة في علم النفس ذات توجه إسلامي ، يمكن أن تكون في نهاية الأمر ، مدرسة جديدة في علم النفس هي (المدرسة الإسلامية في علم النفس) ، وهذا الكتاب يعد محاولة متواضعة للاصطفاف مع هؤلاء الرواد في توجهاتهم هذه .

٢٠٠٢ . إن علم النفس عند فلاسفة الإسلام يعني العلم بالجانب اللامادي في الإنسان ، المتميز عن الجسد ، وقيل قديما : إن أحوالها هي الإحساس والشعور والإرادة والأخلاق ، حيث لا يخرج التصور الديني للنفس عن أنها قوة لامادية خالدة غير متجسدة قادرة على أن توجد في انفصال واستقلال عن الجسد في عالم آخر ، أن الفكر الإسلامي ينظر للنفس كونها جزء من الطبيعة البشرية المكونة من أربعة أشياء هي : المادة (الجسد) ، النفس ، الروح، العقل ، والنفس في الإسلام غير الروح وهذا عكس ما عُرِف في الفلسفة اليونانية والمسيحية ، فقد وردت كلمة النفس في القرآن الكريم بصيغة مفردة في مائة وست عشر مرة ، وبصيغة الجمع (نفوس) مرتين ، وبصيغة تنفس مائة وثلاثة وخمسون مرة ، وأينما وجدت إنما تعني الذات العامة أي بعنصريها المادي والمعنوي ، وللنفس أحاسيس وانفعالات ومشاعر وعواطف ، فهي مرتبطة بالجسد من خلال الدوافع والحاجات ، ومرتبطة بالروح من حيث سموها وتركبتها وترقية أخلاقها ، ومرتبطة بالعقل من حيث تكون الأحكام والاتجاهات والمواقف وضبط العواطف والانفعالات .

أولاً . الكندي (فيلسوف العرب)

أ . اسمه :- أبو يوسف يعقوب بن إسحاق بن الصباح بن عمران بن إسماعيل بن محمد بن الأشعث الكندي .

ب . أصله :- من قبيلة كندة ، وكندة هو بن عفير بن عدي بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب بن عزيب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، وأكد ذلك (عرب ، ٢٠٠٥) بأنه يرتقي في نسبه إلى يعرب بن قحطان من عرب الجنوب ، وقد لقب بفيلسوف العرب .

ت . مولده : ولد بالكوفة عام ١٨٥ هـج / ٨٠١ م تقريبا .

ث . وفاته :- على الأرجح عام ٢٥٢ هـج / ٨٦٦ م

ج . حياته :-

نشأ الكندي في كنف والده الذي كان أميراً على الكوفة لثلاثة من الخلفاء العباسيين هم : المهدي ، الهادي ، والرشيد، وإذا كانت خلافة المهدي امتدت زهاء عشر سنين، وان خلافة الهادي استغرقت سنة وما يقرب من شهرين، فان خلافة الرشيد فقد امتدت ثلاثة وعشرين سنة وبضعة أشهر ، فإذا كان لكل واحد منهم أخلاقه ، وعاداته ، وطريقته في الحكم ، فان ما كان يتصف به أبو الكندي من رجاحة عقل ، وسعة الحيلة ، وحسن التصرف ، وبعد النظر ، قد مكنه أن ينال رضاء هؤلاء الثلاثة ويبقى عاملاً على الكوفة لكل واحد منهم ، ومع هذا لم يستهوي الكندي ما كان ينعم فيه من عز القصور ، وأبهة الملك ، وما كان يلقاه من رعاية الأهل ، واحترام الأتباع ، وخضوع المرؤوسين ، ولم تشغله أمور السياسة والمشاركة في مشاكل الحكم والإدارة التي انغمست فيها قبيلته عن ميوله الخاصة، ورغباته الذاتية، ومزاجه الشخصي، وإنما تفرغ الكندي للدرس الذي شغل نفسه به، والبحث الذي تفرغ له والعلم الذي طلبه من كل مصدر يمكن أن يصل إليه .

لقد عاش الكندي في جو الأخذ والرد ، وشهد مجالس الخلفاء التي كانت تعقد لمناقشة بعض القضايا الدينية والفلسفية .

ولما عاش الكندي متفرغا للعلم فقد صار بعد ذلك ومن سبقه من مفكرين ظهوروا في دور التكوين الفلسفي العربي الإسلامي من الذين عبروا بعلم الكلام الإسلامي إلى عهد التلاقح والمزج بطروحات العالم آنذاك وفلسفات الإغريق والهنود والفرس وسواهم ، من دونما خوف من الانصهار والذوبان ، لأن هذه الفلسفة حصيلة علوم القرآن الكريم وقبسا من وهج السنة النبوية المطهرة ، فهي فلسفة مؤمنة متمسكة بمبادئها وعقائدها فقد جاء الإسلام ليحرر العقل وينتشل تفكير الناس من قيود العزلة ، ولما كان الكندي يمزج ويوفق لعقلانية العصر الذي عاش فيه ، ويوائم بين البحث الفلسفي لأطروحاته العالمية وبين الوحي وشريعة الإسلام ، فقد صارت الفلسفة العربية الإسلامية منذ الكندي وحتى اليوم تضمها ثلاث محاور رئيسية ، أولها مفاهيم قرآنية جاء بها وحي من الله تعالى لرسول الإسلام محمد صلى الله عليه واله وسلم ، وثانيها : جذور الأرض العربية الإسلامية وثقافتها وأصالة مجتمعها ، وثالثها : ألفاظ إغريقية منحوتة تنصهر في بوتقة التراث العربي الإسلامي .

ح . عصره :-

عندما عاش الكندي في البصرة في مطلع حياته ، انتقل بعدها إلى بغداد حيث اقبل على العلوم والمعارف لينهل من معينها ، وكان ذلك في فترة الإنارة العربية على عهد المأمون والمعتصم ، وفي جو مشحون بالتوتر العقائدي بسبب مشكلة خلق القرآن وسيطرة مذهب الاعتزال فضلا عن أن القرن الثالث الهجري يمجج بألوان شتى من المعارف القديمة والحديثة، وأشار إلى ذلك العلامة (الأزميري، ١٩٦٣) بان الكندي عاش في عصر اعتنق أهله حركات فكرية عديدة ، وفي هذه الظروف

ظهر هذا الفيلسوف مع تلاميذه ، وأسسوا مدرسة (المشائين) وكذا (المتكلمون) كانوا على خلاف ذلك مما دعا إلى أن يظهر مسلك الفلسفة .

ان عصر الكندي كان عصر الانفتاح على مختلف الثقافات وضروب العلم والمعارف ، وبعد أن كان النشاط الفكري قبل هذه الحقبة يكاد يقتصر على الناحية الأدبية شعرا وخطابة وكتابة ديوانية ، بات في القرنين الثاني والثالث حركة ناشطة في شتى الميادين الأدبية والعلمية والفلسفية ، مما جعل المستشرق نيكلسون يعبر عن إعجابه بواقع هذه الحياة الفكرية بقوله " كان لانبساط رقعة الدولة العباسية ووفرة ثروتها ، ورواج تجارتها اثر كبير في خلق نهضة ثقافية لم يشهدها الشرق من قبل ، ففي عهد الدولة العباسية كان الناس يجوبون ثلاث قارات سعيا إلى موارد العلم والعرفان ليعودوا إلى بلادهم كالنحل يحملون الشهد إلى جموع التلاميذ المتلهفين ، ثم يصنفون ما بذلوه من جهد متصل هذه المصنفات التي هي أشبه بدوائر للمعارف ، والتي كان لها اكبر الفضل في إيصال هذه العلوم الحديثة إلينا بصورة لم تكن متوقعة من قبل" وهكذا فقد شاركت هذه العوامل في جعله شخصية جامعة ، مترجما وأديبا وفيلسوبا رياضيا ، وباحثا كيميائيا ، ومؤلفا موسيقيا وعالما من صفوة العلماء الذين كانت لهم اهتمامات شتى .

خ . مؤلفاته :-

أشار (الأزميري، ١٩٦٣) إلى أن آثار الكندي العلمية انتشرت في بغداد ، وعرف بها بنفسه بصورة محيرة جدا ، فمنها ما يعود لمختلف فروع العلوم ، ومنها ما يتعلق بالفلسفة ، والرياضيات ، والنجوم ، أو ما يخص الطب ، والسياسيات والموسيقى . وان ابن النديم ، وابن أبي اصيبعة يعد كل منهما مايتجاوز المائتين بكثرة، وبعض المستشرقين قد ابلغها (٢٦٥) مؤلفا" ، ونرى من جميع المصادر أن مؤلفات الكندي بلغت (٢٧٢) مؤلفا ، بعضه نقله عن اللغات الأخرى ، والبعض

الآخر من تأليفه وكان في آثاره الفلسفية معقبا طريق أرسطو ، وانه مشى على مسلكه ، وليس في فلاسفة المسلمين من أعقب اثر أرسطو ، واتصل به اتصالا وثيقا مثل الكندي، ويمكن إيضاح ما احصي من مؤلفاته بالتقسيم الآتي:-

(٢٧) رسالة في الفلسفة ، (١٢) رسالة في أحكام النجوم ، (٩) منطقيات ، (١٢) حسابيات ، (٩) كريات ، (٧) موسيقيات ، (٢٦) نجوميات ، (٢٤) هندسيات ، (١٧) فلكيات ، (٣١) طبييات ، (١٩) جدليات ، (٧) روحيات ، (١٢) سياسيات ، (١٦) إحدائيات ، (١٠) أبعاديات ، (٥) تقديميات ، (٢٩) انواعيات ، (٧) رسائل في علم النفس .

وأدناه كشف عناوين الرسائل السبع أعلاه في علم النفس لكونها تتفق من قريب أو من بعيد ومجريات البحث في العلوم التربوية والنفسية وحسب تفصيل المصدر المذكور وهذه الرسائل كالاتي:-

- أ . رسالة في النفس وأفعالها .
- ب . رسالة علة النوم والرؤيا وما تأمر به النفس .
- ت . رسالة في علم الحواس .
- ث . رسالة فيما للنفس ذكره وهي في عالم العقل قبل كونها في عالم الحس .
- ح . رسالة في أن النفس جوهر بسيط غير دائر مؤثر في الاجسام .
- خ . رسالة في ماهية الإنسان والعضو الرئيس منه .
- د . رسالة في خبر اجتماع الفلاسفة على الرموز العشقية .

د . علم النفس عند الكندي

عد الباحثون المختصون في المجالات الفلسفية والنفسية الكندي بأنه رائد المدرسة الفلسفية العربية بلا منازع ، وكان بمثابة سجل معارف زمانه - تميز بالمعرفة الموسوعية ، والاهتمامات المتنوعة ، سواء موضوعات فلسفية أو علمية أو نفسية فكان يضع لأجل ذلك ولكل لون من ألوان المعرفة تأليفا خاصا يبين فيه منزلة هذا الضرب من المعرفة بالنسبة لغيره من العلوم ، ويرتبه ترتيبا منهجيا تعليميا يرده إلى مبادئه ومقولاته الأساسية حيث يعرض لقواعده وأصوله وكل ذلك لكي لا يضل المتعلم ، فضلا عن أن أهمية هذا الفيلسوف تأتي من كونه كتب في العلم والتعليم ومناهج البحث ، ولعل منهجه في البحث والتعليم يظهر بجلاء من ذلك التواصل بين أبحاثه النفسية ودراساته الأخلاقية .

ولقد اجمع علماء العرب وفلاسفتهم بان الكائنات الحية جميعا ، تتكون أشخاصها من جسمية ، وشيء آخر زائد عنها ولا توجد إلا بها ، ولا تبلغ الأجسام كمالها إلا بها ، وان هذا الشيء الزائد عن الجسم يعرف بالنفس، وبها يتميز تميز الحي وغير الحي ، وان الكائن الحي بنفسه لا يبدنه وان بدن الكائن الحي هو مجرد وعاء حالة النفس فيه ، وقد عرّف الكندي النفس في رسالته (حدوث الأشياء ورسومها) بأنها "**تمامية جرم طبيعي ذي آلة قابل للحياة**" أو "**استكمال أول لجسم طبيعي ذي حياة بالقوة**" ، وله تعريف ثالث في النفس بأنها "**جوهر عقلي متحرك من ذاته**" وأنها جوهر الهي روحاني بسيط لا طول له ولا عمق ولا عرض وهي نور الباري" ، والعالم الأعلى الشريف الذي تنتقل إليه نفوسنا بعد الموت هو مقامها الأبدي ومستقرها الدائم أي أن الكندي اعترف صراحة بخلود النفس ولكنه لا يذكر هل وجدت قبل البدن كما يقول أفلاطون أم أنها وجدت معه كما تذكر النصوص الدينية ، ولكنه يؤكد أن علاقة النفس بالبدن علاقة عارضة مع أنها لا تفعل إلا به فهي متحدة به رغم أنها تبقى بعد فنائه .

ولما رأى الكندي أن النفس الإنسانية جوهر أزلي خالد هبط للجسم بعد أن صار صالحا لقبوله وهي لهذا تشعر بأنها في غير مستقرها الذي يليق بها، فإن هذه النفس تحن إلى مفارقة هذا السجن لتعود إلى أصلها الذي جاءت منه ، والذي يسعدها على الشعور بذاتيتها وعلى استمتاعها بالسعادة الروحية الكاملة -بعد العلم الذي لا بد أن تأخذ منه بأوفر نصيب - هو سلوك سبيل الفضيلة والبعد عن الرذيلة ، وإنما يكون ذلك بإتباع ما امر به الله والانتهاز عما نهى عنه ، وبهذا وذاك يكون المرء أهلا لرحمة الله وفيضه فيصل للنعيم الروحي الدائم ابدأ .

وعلى هذا الأساس فقد قسم القوى النفسانية إلى ثلاث ؛ غضبية ، شهوية ، ونطقية ، وبذلك رأى أن الغضب والشهوة يعوضان على الحي ماتحلل من جسمه ، ويصلحان ما اختل ، وأما النطق فلتتمام فضيلته ، وبرهانه على ذلك أن الإنسان يعرض له غضب أو شهوة فيهب فيه ما يقاوم الغضب ، ويكبح الشهوة ، إذن في الإنسان قوة غير الغضب والشهوة ، وهي نفس بسيطة روحية نسبتها من الله نسبة ضياء الشمس من الشمس ، وبما أنها كذلك فقد رأى الكندي أنها " بسيطة ذات شرف وكمال ، عظيمة الشأن ، جوهرها من جوهر الباري عز وجل كقياس ضياء الشمس من الشمس .

أما القوة الغضبية قد تتحرك على الإنسان في بعض الأوقات ، فتحمله على ارتكاب الأمر العظيم ، فتضادها هذه النفس ، وتمنع الغضب من أن يفعل فعله ، وان يرتكب الغيظ وترته (ويقصد بها شهوة الانتقام) ، أما القوة الشهوانية فقد تتوق في بعض الأوقات إلى بعض الشهوات فتفكر النفس العقلية في ذلك انه خطأ ، وانه يؤدي إلى حالة رديه ، (فتمنعها من ذلك وتضادها يدل على أن كل واحدة منهما غير الأخرى) ، وحينما تحدث الكندي عن مصير النفس قال " إن النفس خالدة ، وسعادتها فيما ترى وتعلم ، وان فارقت البدن فإنها تعلم ما يعلم الله ، أو دون ما يعلم قليلا ، على أن هذا العلم لا يتم لها إلا إذا كانت معرضة عن الشهوة والغضب ،

طاهرة نقية ، ودعا إلى تطهير النفس قائلا " فقل للباكين ممن طبعه أن يبكي من الأشياء المحزنة ، ينبغي أن يبكي ويكثر البكاء على من يهمل نفسه وينهك (أي يبالغ) من ارتكاب الشهوات الحقيرة الخسيسة الدنية المموهة التي تكسبه الشهرة ، وتميل بطبعه إلى طبع البهائم ، ويدع أن يتشاغل بالنظر في هذا الأمر الشريف ، والتخلص إليه ، ويظهر نفسه حسب طاقته ، فان الطهر الحق طهر النفس لا طهر البدن" وهذا مما جعل الكندي من الناحية الأخلاقية أن دعا إلى الزهد المحسوس، والإعراض عن الشهوة ، والتخلي بالفضيلة ، والفضائل في رأيه أربع ؛ الحكمة ، النجدة ، الفقه والعدل . . فالفضيلة في رأيه وسط طرفاه رذائل ، فالنجدة مثلا وسط بين التهور والجبين ، وبعبارة أخرى فان النفس لكي تتمكن من استخدام جميع أجزاء آلتها التي هي البدن ، فلا بد أن يكون لها قوى منبثة في أجزاء هذه الآلة لتؤدي من خلالها غاية وجودها الأساسية ، فهي عند الكندي لها ثلاث قوى رئيسية هي ؛ الناطقة ، والغضبية ، والشهوية ، وقد شبه الشهوانية بالخنزير ، والغضبية بالكلب ، والعقلية أو النطقية بالملك ، على أساس أن الفرد الذي غلبت شهوته على أفعاله ، أصبح همه الوحيد هو الحصول عليها بأي وسيلة ولهذا شبهت بالخنزير ، أما من سيطرت قوته الغضبية فقياسه قياس الكلب ، في حين أن الفرد الذي تغلب قوته العقلية يتميز بفكر ثاقب في البحث عن الحقائق وأسرار الأشياء وفضائلها ، ولهذا وصفه الكندي إنسان فاضل مقارب الشبه للباري الذي يوصف بالحكمة والخير والعدل .

ذ . آراؤه في الصحة النفسية .

عدت السعادة في نظر الكندي (ليست في الحصول على المحبوبات والمطلوبات الحسية الدنيوية الزائلة ، وإنما هي في الحصول على المحبوبات والمطلوبات العقلية ، في البحث والتميز والتفكير ومعرفة حقائق الأشياء ، فليست اللذة الحقيقية للإنسان هي الذات الحسية الدنيوية الزائلة ، وإنما هي اللذات الإلهية

الروحانية التي تحصل للإنسان إذا ماتهر من دنس الشهوات والملذات الحسية ، واقترب من الله سبحانه وتعالى ، فأفاض عليه الله تعالى من نوره ورحمته ، فيشعر حينئذ بلذة دائمة فوق كل لذة حسية يمكن أن يحصل عليها من ملذات الحياة الدنيوية (٠٠٠ قال الكندي " وإذا بلغت هذه الأنفس مبلغها في الطهارة ، رأت في النوم عجائب من الأحلام ، وخاطبتها الأنفس التي قد فارقت الأبدان ، فأفاض عليها الباري من نور رحمته ، فتلتذ حينئذ لذة دائمة فوق كل لذة تكون بالمطعم والمشرب والنكاح والسماع والنظر والشم واللمس ، لان هذه لذات حسية دنسه، تعقب الأذى، وتلك لذة روحانية ملكوتية تعقب الشرف الأعظم، والشقي المغرور الجاهل من رضي لنفسه بلذات الحس وكانت هي أكثر أغراضه، ومنتهى غايته .

ر . أنواع الاضطرابات عند الكندي

ان معرفة النفس عند الكندي لم تكن نظرية فحسب، بل عني بالعمل إلى جانب النظر ، فقد قال ؛ " من ملك نفسه ملك المملكة العظمى واستغنى عن المؤن ، ومن كان كذلك ارتفع عنه الذم وحمده كل واحد وطاب عيشه" ، لذلك رأى انه ينبغي للإنسان أن يحرص على أن يكون سعيدا ، وان يحترس من أن يكون شقيا ، حيث أكد الكندي ذلك بقوله ؛ فينبغي إذن أن نحرص على أن نكون سعداء وان نحترس من أن نكون أشقياء بان تكون إرادتنا ومحبوباتنا متهيئا لنا ، ولا نأسى على فائتة ولا نطلب غير المتهىئ من المحسوسات .

وقد قسم الكندي الاضطرابات إلى قسمين:-

أ . الاضطرابات الجسمية (ويسمىها الآلام الجسدانية)

ب . الاضطرابات النفسية (ويسمىها الآلام النفسانية)

فالآلام الجسدانية حدثت نتيجة الأمراض التي أصابت الأجساد والآلام النفسانية حدثت نتيجة الأخلاق الدنيئة ، واستطرد الكندي قائلا ؛ كان واجبا عندنا أن ندفع

الآلام الجسدانية بالأدوية البشعة والكي والقطع والضمد وألازم وما أشبه ذلك من الأشياء المشفية للأبدان وان نحتمل في ذلك الكلفة العظيمة من الأموال لمن شفى من هذه العلل ، وإذا كان علاج الأم الجسم واجبا في نظر الكندي ، فان علاج الأم النفس اوجب لان النفس سائس والبدن مسوس ، والنفس باقية والبدن دائر ومصلحة الباقي والعناية بتقويمه وتعديله أصلح وأفضل من إصلاح وتعديل الدائر .

ز . الاضطرابات النفسية برأى الكندي

لقد عدّ الكندي الحزن من أقوى الاضطرابات التي تعترض النفس فتؤدي إلى اضطراب الصحة النفسية وارجع حالة الاكتئاب الناتج بسببه إلى جذره وهو (الفقدان) ولأهمية هذا الاضطراب ، فقد افرد هذا الفيلسوف في كتابه "رسائل فلسفية" رسالة خاصة بذلك اسمها (في الحيلة لدفع الأحزان) ، حقق هذه المخطوطة عبد الرحمن بدوي ، ولأهمية هذه الرسالة (المخطوطة) فقد نشرت لأول مرة عام ١٩٣٨م وهي من أعمال الأكاديمية الملكية داي لينجي ، سلسلة ٦ ، مجلد ٨ ، " رسالة أخلاقية غير منشورة للكندي" وكان ذلك على يد ثلاثة من المستشرقين وهم السادة ؛ هلموت ريتير Ritter ، ورتشارد فلستر Walzer ، وليفي دلا فيدا Lievi della vida اعتمادا على مخطوط أيا صوفيا رقم ٤٨٣٢ ج ٢ ورقة ٣٢ أ ٢٦ ب ، حيث قام المستشرق ريتير Ritter بتحرير أصل النص ، وتقويم لغته العربية واخذ المستشرق فلتر مسؤولية ترجمته إلى الايطالية معززا إياها بحواشي ذات فائدة ، وعلق على بعض مسائلها بإضافات مهمة ، ثم قام المستشرق ليفي دلا فيدا Lievi della vida بمراجعة النص العربي وتصحيح ما وجدته بحاجة إلى تصحيح ، ولما جاءت مناسبة العيد الألفي لبغداد عام ١٩٦٢م اصدر السيد محمد كاظم الطريحي كتابه (الكندي فيلسوف العرب) وضمنه رسالة الكندي في الحيلة لدفع الأحزان ، وعزز السيد الطريحي هو الآخر الرسالة بشرح وتعليق مفيدتين ، وقد اعتمد على نسختين خطيتين ، منها في طهران في مكتبة ملي تحت رقم ٣٤ وكان تاريخ نسخها

سنة ١١٣٠ هجرية ، وكانت النسخة الثانية في مكتبة أيا صوفيا تحت رقم ٤٨٣٢ ، وهي ذات النسخة التي اعتمدها السيد ريتير Ritter وزملاؤه من قبل ، وأعاد بدوي تحقيقها من بعد دون الإشارة إلى تحقيق السيد أطريحي ولعله لم يطلع على شرحه وتعليقه ، وقد بلغت المخطوطة حسب تحقيق بدوي (٣٢) صفحة وكانت تحت عنوان (في الحيلة لدفع الأحزان) وفيما يأتي نموذج منها :-

١٠ الحزن :- للكندي رسالة في الحزن ودفعه بعنوان (في الحيلة لدفع الأحزان) ، عرف فيها الحزن ، وبين أسبابه ، وذكر بعض الأساليب للتغلب عليه ، حيث عرف الحزن بأنه **"الم نفساني يعرض لفقد المحبوبات وفوت المطلوبات"** . فالإنسان الذي يجعل محبوباته ومطلوباته من الأشياء الحسية الموجودة في العالم الحسي، يكون عرضة للشعور بآلام الحزن؛ لان المحبوبات والمطلوبات الحسية عرضة للفساد والزوال، فيحزن الإنسان لفسادها ولزوالها. أما المحبوبات والمطلوبات العقلية فدائمة وثابتة، لاتتعرض لفقد أو فوات. ولذلك فإن من يريد أن يكون سعيدا ، وان يقي نفسه من الآم الحزن فينبغي عليه أن يجعل محبوباته ومطلوباته في العالم العقلي، لا العالم الحسي.

قال الكندي : (فان أحببنا أن لانفقد محبوباتنا ، ولاتفوتنا طلباتنا ، فينبغي أن نشاهد العالم العقلي ، وتصير محبوباتنا وقنياتنا (أي ممتلكاتنا) وإرادتنا منه . فانا إذا فعلنا ذلك أمانا أن يغضبنا قنياتنا احد ، أو يملكها علينا يد ، وأن نعدم ما أحببنا منها ، إذ لا تنالها الآفات ولا يلحقها الممات ، ولا تفوتنا الطلبة)

والإنسان معرض دائما لأن يفقد محبوبا ، ويفوته مطلوبا . فإذا حزن لكل محبوب يفقد ، ولكل مطلوب يفوته ، فانه سوف يكون دائم الحزن . (فينبغي إذن أن لا نحزن على الفائتات ، ولا فقد المحبوبات ، وان نجعل أنفسنا ، بالعادة الجميلة ، راضية بكل حال ، لنكون مسرورين أبدا) . ولما كان الحزن من الآم النفس ، فمن

الواجب علينا أن نعني بدفع هذه الآلام النفسانية مثلما نعني بدفع الآم أجسامنا . قال الكندي : (فإصلاح النفس وشفائها من أسقامها اوجب شديدا "أي كثيرا" علينا من إصلاح أجسامنا ، فإننا بأنفسنا نحن ما نحن ، لا بأجسامنا .. وأجسامنا آلات لأنفسنا تطهر بها أفعالها .فإصلاح ذواتنا أولى بنا شديدا من إصلاح آلاتنا)،

لقد قصد الكندي بذلك علاج النفس قبل البدن لأن النفس عنده أفضل من البدن لكونها باقية والبدن دائر ، ولأن النفس سائس والبدن مسوس ، ومصالحة الباقي السائس والعناية بتقويمه وتعديله أفضل وأصلح من صلاح وتعديل الدائر المسوس ، ونصح الكندي أن يتم إصلاح النفس وعلاجها من الآم الحزن على التدرج ، بأن نلزم أنفسنا بالقيام بالعادة المحمودة في الأمور السهلة أولا ، ثم نتدرج بها إلى الالتزام بالعادة المحمودة في الأمور الصعبة ، ثم نرقى بها بعد ذلك إلى الأمور الأصعب .ويستمر هذا التدرج حتى نصل إلى الأمور التي هي غاية في الصعوبة . حيث قال في هذا الصدد " فينبغي أن نحتمل في إصلاح أنفسنا من بشاعة العلاج وصعوبته واحتمال المؤن فيه إضعاف ما نحتمل من ذلك في إصلاح أجسامنا، مع أن إصلاح أنفسنا اقل بشاعة واخف مؤونة كثيرا مما يلحق في ذلك من إصلاح الأجسام ، لان إصلاح أنفسنا إنما هو بقوة العزم على المصلح لنا ، لا بدواء مشروب ، ولا بالم حديد ولانار، ولا بانفاق مال ، بل بالترام النفس العادة المحمودة في الأمر الأصغر الذي لزومه سهل علينا ، ثم نرتفع من ذلك إلى لزوم ما هو اكبر منه .فإذا اعتادت ذلك نرقى بها إلى ما هو اكبر من ذلك في درج متصلة حتى نلزمها العادة في لزوم الأمر الأعظم كلزوم العادة لها في لزوم الأمر الأصغر ، فان العادة تسهل بما وصفنا، ويسهل بذلك الصبر على الفانيات والسلوة على المفقودات .

وبما أن الحزن يشكل حالة من الهبوط المعنوي فقد شرح الكندي كيفية دفعه عن النفس لكي لا يكون معيقا لأداء فعاليات الإنسان اليومية وتفاعله مع البيئة والمجتمع فاستخدم في ذلك ضرب الحكايات في توضيح صورة الفكرة التي يرمي

فكره إليها فقال (ومن لطيف الحيلة في دفع الحزن أن تذكر محزنانا التي سلونا عنها قديما ومحزنانا غيرنا التي شاهدنا حزنهم بها وسلوتهم عنها ، وتمثيلنا في حال المحزن محزنا بالسالفات من محزنانا والمحزنان التي شاهدنا وما آلت إليه من السلوة ، فان لنا بذلك قوة عظيمة على السلو ، كالذي عزي به الأسكندر بن فيلفوس المقدوني الملك والدته عند حضور موته ؛ فانه كتب إليها فيما كتب : " فكري يأم الأسكندر ، في أن كل ماتحت الكون والفساد دائر ، وان ابنك لم يكن يرضى لنفسه بأخلاق الصغار من الملوك ، فلا ترضي لنفسك عند موته بأخلاق الصغار من أمهات الملوك ، ومري ببناء مدينة عظيمة حين يرد عليك خبر الاسكندر ، وابعثي في أن يحشر إليك الناس في جميع بلاد لوبية (إفريقيا) ، واورفي (أوربا) ، واسيا ، فيكون في ذلك اليوم جمعهم في تلك المدينة للطعام والشروب والسرور ، ومري أن ينادي فيهم أن لا يوافقك كل من أصابته مصيبة ، ليكون ذلك مآثم الاسكندر بسرور على خلاف مآثم الناس بالحزن " فلما أمرت بذلك لم يوافقها للوقت الذي حدثت إنسان ، فقالت ما بال الناس تخلفوا عنا مع ما قدمنا ؟ فقيل لها : انك أمرت إلا يوافقك احد أصابته مصيبة ، وكل الناس أصابتهم مصائب ، فلم يوافقك احد ، فقالت يا اسكندر ؛ ما أشبه أو اخرجك بأوائلك ، لقد أحببت أن تعزيني عن المصيبة بك التعزية الكاملة ، إذ لست بالمصائب ببدع ولا مخصوصة بها على واحد من البشر .

٠٢ . نظرتة للقلق والوسواس : قال الكندي ؛ فان حزنا قبل وقوع المحزن كنا قد اكسبنا أنفسنا حزنا لعله غير واقع بإمساك المحزن عن الأحزان أو لدفع الذي دفعه عنا ، فكنا اكسبنا أنفسنا حزنا لم يكسبناه غيرنا ، ومن احزن نفسه فقد اضر بها ، ومن اضر بنفسه فجاهل فظ جائر في غاية الجور ، إذ ادخل على نفسه ضررا ، لأنه لو فعل ذلك بغيره كان جاهلا جائرا ، وفعله ذلك بنفسه أعظم ، فينبغي أن لا نرضى بان نكون اجهل الجاهلين وافظ الأفظين وأجور الجائرين .

ومخطوطة الكندي هذه الموسومة (في الحيلة لدفع الأحزان) تضمنت
إيضاحات تكاد المصطلحات الحديثة في علم النفس الحديث تحاكيها أو تشبهها في
المعنى ولكن من دون إشارة من قبل علماء النفس إلى تواجدها في أدبيات علماء
الإسلام وفلاسفتهم كالكندي مثلا فان ماجاء في هذه المقطوعة يشبه إلى حد كبير
جدا مصطلح (القلق العصابي) Anxiety الذي عده علم النفس حالة توتر شامل
ومستمر نتيجة توقع تهديد خطر فعلي أو رمزي قد يحدث ، ويصحبها خوف
غامض ، وأعراض نفسية جسمية ، ورغم أن القلق غالبا ما يكون عرضا لبعض
الاضطرابات النفسية إلا أن حالة القلق قد تغلب فتصبح هي نفسها اضطرابا نفسيا
أساسيا وهو أشيع حالات العصاب ، ويمكن اعتبار القلق انفعالا من الخوف وتوقع
التهديد والخطر .

٣٠ خوف من الموت :- عد الكندي الإفراط بالخوف من الموت اضطرابا نفسيا
معيقا لحياة الإنسان السوية ، حيث قال "فأما الموت فإنما هو تمام طباعنا فان لم
يكن موت لم يكن إنسان بته ، لان حد الإنسان هو الحي الناطق المائت ، والحد
مبني على الطبع اعني أن طبع الإنسان انه حي ناطق مائت ، فان لم يكن موت لم
يكن إنسان لأنه إن لم يكن ميتا فليس بإنسان ، لذلك رأى أن الموت ليس برديء
وإنما خوف الموت رديء وهذا ينبغي أن نكرهه ، وقد ساق الكندي توضيحا منطقيا
حول عدم رداءة الموت وإنما الرديء هو الجهل بحال الحياة وحال الموت فقال ؛ إن
الغذاء لو كان ذا عقل ، وهو في الكبد ، إلا انه لم يشاهد غيرها ثم قصد لنقله عنها
لأحزنه ذلك ، وان كان أنما ينتقل منها إلى بنية صورة ونحو شيء القرب إلى كون
الكمال ، فإذا صار إلى الأنثيين (الخصيتين) واستحال زرعاً (أي منياً) ، فانه لو
قصد لنقله إلى الرحم التي هي أوسع من محله في الأنثيين ، لأحزنه ذلك حزنا شديدا
، ولو قيل له : بعد أن تصير في الرحم ترد إلى الأنثيين ، لأحزنه ذلك اشد من
حزنه الأول أضعافا لتذكره ضيق الأنثيين وبعده عن كمال الصورة الإنسانية إذا

أضيفت حاله فيها إلى حالة في الرحم ، وكذلك لو قصد إزعاجه عن الرحم إلى فسيح هذا العالم وسعته ، لأحزنه ذلك حزنا شديدا ، فإذا خرج في هذا الفسيح وجماله ، ثم قيل له : تعاد إلى الرحم ، وكان في ملكه جميع الأرض وما فيها لدفعه وأسلمه على أن لا يعاد الرحم ، وكذلك وهو في هذا المحل الذي هو الدنيا شديد الجزع على فراقه ، فإذا صار إلى المحل العقلي العادم للآلام الحسية والقنيت الحسية التي هي تتابع كل الآلام الحسية والنفسية ، وفيه الخيرات التي لاتنال قنيتها الأيدي والآفات فلا يخرج مالها عن ملكه شيء ألبته ، ولو قيل له انك ترد إلى هذا العالم الذي كنت فيه ، لكان جزعه من ذلك أضعاف جزع الذي قيل له انك ترد من هذا الفسيح الدنيائي في حلوك (أي ظلمة) الرحم .

ثانياً . الرازي (الطبيب والفيلسوف)

أ . اسمه : أبو بكر محمد بن زكريا الرازي

ب . أصله : من مدينة الري ، جنوب طهران

ت . مولده :- ٢٥٠ هج / ٨٦٤ م

ث . وفاته :- عام ٣١١ هج / ٩١٥ م

ج . حياته : كان منذ صغره يهوى العلوم العقلية والأدبية ولقد وصفه (ابن النديم) بأنه كان كريماً متفضلاً باراً بالناس حسن الرأفة بالفقراء يمرضهم ويجري عليهم الجرايات ، سافر إلى بغداد وعمره ثلاثون عاماً ، كان كثير العمل ، دأب على القراءة والكتابة حتى عمي في آخر عمره ، وقيل له لماذا لا تقدر (تطبب) عينيك قال ؛ قد أبصرت من الدنيا حتى مللت منها ، وعاش متنقلاً بين المشرق وبغداد وعلى مقربة من بيت الحكمة في ظل السطوة التركية على الخلافة العباسية ، تولى رئاسة بيمارستان بغداد بعد أن تناقلت المراجع العلمية طريقتة التجريبية في اختيار موقع المستشفى ، وتوضيح هذه السنوات من حياته فقد أشارت بعض الأدبيات الفلسفية بان ابوبكر محمد بن زكريا الرازي كان فيلسوفاً ، اشتهر بالطب والكيمياء والجمع بينهما ، ظل حجة في الطب في أوروبا حتى القرن السابع عشر للميلاد ، وهو في نظر المؤرخين من أعظم أطباء القرون الوسطى ، وطبيب الدولة العربية الإسلامية بلا منازع ، ولما تولى تدبير مارستان الري عزم على الانتقال إلى بغداد بعد سن الثلاثين ، فرأى الخليفة العباسي "عضد الدولة" أن يستغل مواهبه ونبوغه فاستشاره عند بناء المارستان العضدي في بغداد ، في الموضع الذي يجب أن يبنى فيه ، فذهب الرازي إلى نواح يطلب أصحابها هواء ، وأطهرها جواً ، فعلق قطعاً من اللحم في جهات مختلفة ، فالموضع الذي بقيت فيه قطع اللحم أطول مدة دون أن تفسد ، فذلك هو المكان الصحي الذي يصلح لبناء البيمارستان (المستشفى) ، وقد

تولى رئاسة الأطباء فيه بعد بنائه ، إلا انه لم ينعم بالاستقرار في حياته بالنظر إلى
تقلب أهواء الأمراء واضطراب الأحوال السياسية .

ح . مؤلفاته : للرازي مؤلفات كثيرة ذكرها ابن أبي اصيبعة (٢٣٢) كتابا ورسالة ،
اغلبها في الطب ، وبعضها في المنطق ، والطبيعيات ، وما وراء الطبيعة ،
والإلهيات ، وعلم النفس ، والبصريات ، والكيمياء ، وعلم الهيئة ، والهندسة ، وذكر
ابن أبي اصيبعة كتابا له تتعلق بعلم النفس هي ؛ كتاب كبير في النفس ، كتاب
صغير في النفس، كتاب في النفس ليس بجسم ، كتاب في النفس المغترة ، كتاب في
النفس الكبيرة ، كتاب في الفرق بين الرؤيا المنذرة وبين سائر ضروب الرؤيا ،
كتاب في كيفية الإبصار وانه لا يكون بشعاع يخرج من العين ، كتاب المحبة وكتاب
في الحركات النفسانية ، وهذه الكتب التي بعلم النفس لم يصل منها إلا كتاب (الطب
الروحاني) وهو يتعلق بتعديل السلوك والعلاج النفساني ، ومنتخبات من كتاب
(اللذة) المفقود ، وهي تتعلق بعلم النفس الفسيولوجي .

خ . علم النفس عند الرازي

تم اختزال مسائل التحقيق الخلافية في أن هذا القول لأفلاطون وأيده الرازي
أو هذا منطق أرسطو وتبناه هذا الفيلسوف وذلك لأنها ليست من صميم الموضوع
وإنما تم التركيز على ما جاءت به هذه المؤلفات من علوم نفسية للوقوف فيما بعد
على مضامينها التربوية ، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإننا اعتبرنا أن موافقة
الرازي إنما يعني التبني والتأييد لهذا القول أو ذاك .

لقد عدّ الرازي النفس هي التي لها الشأن الأول في ما بينها وبين البدن وقد
قسمها إلى ثلاثة أنفس في الإنسان وهي :-

٠١ النفس الناطقة والإلهية

٠٢ النفس الغضبية والحيوانية .

٠٣ النفس النباتية والنامية والشهوانية .

كذلك فقد أوضح الرازي أن النفسين الحيوانية والنباتية كونت من اجل النفس الناطقة ، أما النفس النباتية فهي لتغذية الجسم الذي هو بمنزلة آلة وأداة للنفس الناطقة ، ولما كان الجسم مكونا من جوهر سيال متحلل،فهو في حاجة لكي يبقى إلى الغذاء لكي يخلف فيه مايتحلل منه ،

أما وظيفة النفس الغضبية هي لكي تستعين بها النفس الناطقة على قمع الشهوات ، ومنعها من أن تشغل النفس الناطقة بكثرة شهواتها عن القيام بوظيفتها الأساسية وهي النطق ، الذي إذا استعملته بطريقة فعالة وكاملة أمكنها التخلص من الجسم الذي تتعلق به ، أما مزاجها فهي جملة مزاج القلب الذي منه الحرارة وحركة النبض ، والنفس الشهوانية هي جملة مزاج الكبد الذي منه يكون الاغتذاء والنمو والنشوء للإنسان ، وجملة مزاج الدماغ هي الآلة أو الأداة التي تستعملها النفس الناطقة ، فان الحس ، والحركة الإرادية والتخيل ، والفكر والتذكر من الدماغ

ولهذا فينبغي أن يجتهد الإنسان بالطب الجسداني وهو الطب المعروف ، والطب الروحاني وهو الإقناع بالحجج والبراهين في تعديل أفعال هذه النفوس لئلا تقصر عما أريد بها ،ولئلا تجاوزه ، وتقصير النفس النباتية يكون بان لاتغذى الجسم ولا تنمي بالكمية والكيفية اللتين يحتاج إليهما الجسد ، وإفراطها يكون بان يتعدى ذلك وتجاوزه بما لا يحتاج إليه الجسد ، فيغرق في اللذات والشهوات .

أما تقصير النفس الغضبية بان لا يكون عندها من الحمية والأنفة والنخوة مايمكنها من قمع النفس الشهوانية ، وإفراطها بان يكثر فيها الكبر وحب الغلبة الاستعلاء وقهر الناس والحيوان وتقصير النفس الناطقة بان لا يخطر ببالها استغراب هذا العالم والتفكير فيه ، والتطلع والتشوق إلى معرفة جميع ما فيه ، وخاصة المعرفة بجسدها ، وما يؤول إليه حال جسدها وحالها بعد الموت ، وان عدم تطلعها لمعرفة هذه الأشياء يجعل الإنسان مثل البهائم التي لاتتفكر ولا تتذكر البتة ، وإفراط النفس الناطقة يكون بان يستحوذ على الإنسان الفكر في هذه الأشياء ونحوها بحيث لاينال

من الغذاء وما يصلح به الجسم من النوم وغيره مما يحتاج إليه في بناء مزاج الدماغ على حالة الصحة ، وبحيث يجتهد غاية الجهد في بلوغ مايروم من المعرفة بهذه المعاني في اقصر وقت ممكن ، مما يؤدي إلى فساد مزاج جسمه فيصيبه الوسواس والمالنخوليا ، ولما كان الرازي فيلسوفا وطبيبا فانه حدد الأعضاء التي تتكون منها هذه الأنفس داخل الجسم ، فجملة مزاج القلب يكون النفس الغضبية ، وجملة مزاج الكبد تكون القوة الشهوانية ، وجملة مزاج الدماغ تكون القوة الناطقة ، فعنده أن مزاج الدماغ هو أول آلة تستخدمها النفس الناطقة في أفعالها الإرادية ، وتستخدم الكبد لأغراض التغذية والارتقاء ، والقلب للحركة والحرارة، أما الحس والحركة الإرادية والنخيل والفكر فهي من الدماغ.

د . الاضطرابات النفسية عند الرازي

اشارت اغلب الادبيات الفلسفية الى ان مؤلفات الرازي النفسانية لازالت في عداد المفقودات ماعدا كتاب (الطب الروحاني) ، وبعض منها في رسائله الفلسفية والتي تتعلق بتعديل السلوك والعلاج النفسي للأفراد ، فخرج الكتاب من دائرة فقدان ودخوله في التحقيق كمخطوطه شكل مساحة واسعة وارض خصبة للمشتغلين بالعلوم التربوية والنفسية من المعاصرين لاستخراج هذا الإرث المكنون لمنفعة الأفراد والجماعات على حد سواء ، وهكذا فقد جاء هذا الكتاب معبرا بوضوح عن الاضطرابات النفسية فضلا" عن الأمراض الجسمية التي منشؤها نفسي والتي اصطلح عليها في الوقت الحالي ب(السيكوسوماتك) Psychosomataform

إن فصول كتاب الطب الروحاني تهتم بعلاج النفس ، لان للنفس أثرا كبيرا في صحة الجسم وان كل لذة أو ألم تحس به النفس له صداه الحسن أو السيئ على الجسم ، ولذا فان هذا الكتاب وضع لمعالجة النفوس على اعتبار أن مزاج الجسم

تابع لمزاج النفس ، ولهذا اوجب على طبيب الجسم أن يكون طبيب نفس أيضا ، وأجاز للطبيب أن يوهم مريضه بالصحة مهما كان المرض مستعصيا لان النفس تعمل عملها في الجسم حيث ان هذه المخطوطة أبصرت النور ضمن كتاب (رسائل فلسفية) للمحقق المستشرق بول كراوس .

ولما كان الرازي قد عد الغم كسابقه الكندي من أقوى الاضطرابات النفسية ، فان هذه الاضطرابات تؤثر بدرجة سلبية كبيرة على (الفكر والعقل ، والنفس والجسد) ، إذ عرف الرازي الغم بأنه ؛ عرض عقلي يحدث من فقد المحبوب، ويبدو من هذا التعريف أن المقصود بالغم هو الحزن وربما قصد بذلك (حالة الاكتئاب) ، كما أكد الرازي بقوله ؛ "ولما كان الإنسان يتعرض للغم بمجرد تصوره لفقد محبوبه الموافق ، وان هذا الغم يكدر كل من الفكر والعقل ، والنفس والجسد ، لذا وجب بحق أن نضعف منه ما أمكن ، ونحتال بكل الوسائل لصرفه ودفعه ، واهم مايساعدنا في ذلك الاحتراس منه قبل وقوعه ، كي لا يقع أصلا، أو يقع منه قدر ضئيل ، لكن إن حدث وجب دفعه ونفيه بقدر الإمكان" .

وقد رأينا أن أساس الغم (الذي يؤدي إلى اضطراب الصحة النفسية) في نظر الرازي هو فقد المحبوبات وهذه المحبوبات قد تكون فقد إنسان مثل أخ ، أب ، أم ، ابن ، بنت ، حبيب ، صديق ، قريب وما شاكلها ، أو فقد عقار مثل بستان ، بيت ، قطعة ارض ، محل تجاري ، وما يناظرها أو فقد أشياء اجتماعية مثل منصب ، رئاسة ، جاه ، سمعة وما شابهها ، أو أشياء اقتصادية مثل مال ، بورصة ، أوراق مالية ، مستندات تجارية وما يماثلها (إذا أردنا أن نطبقها على زماننا الحاضر)

أن الرازي قد بين في هذا الصدد ؛ إن أكثر الناس وأشدهم غما من كانت محبوباته كثيرة العدد وكان حبه لها شديدا فكلما يفقد واحدة من محبوباته أصابه الغم فينبغي على العاقل أن يقلل من محبوباته ، ليقبل بذلك ما يشعر به من غم بسبب فقدها وهي لا بد من فقدها تبعا لسنة الكون والفساد ، وكلما زادت المحبوبات لدى

الإنسان كان اشد حبا لها ، و اشد تعرضا للغم والعكس صحيح ، ومن واجب العاقل قطع سواد الغموم عن نفسه ، والاستقلال بذاته عن الأشياء التي يجلب فقدها غما ، وإلا يخدعه ما يبدو فيها من راحة ، بل يجب أن يتذكر المرارة التي يتجرعها عند الفقد) .

ذ . نماذج أخرى من الاضطرابات النفسية

من المؤكد أن هناك فرقا كبيرا في مصطلحات الصحة النفسية بين فلاسفة الفكر الإسلامي وبين المشتغلين في مجال العلوم التربوية والنفسية في الوقت الحاضر منذ انفصال علم النفس عن الفلسفة واستقلاله بمصطلحاته الغربية التي ترجمت إلى العربية فيما بعد واستخدمت في الأوساط الأكاديمية وحتى يومنا هذا ، مما يتطلب من الباحث أن يعمل على إيجاد النظير والمكافئ للمصطلحات بين القديم والحديث قدر استطاعته بسبب هذا الفارق الزمني الكبير .

لقد سمي الرازي الاضطرابات النفسية ب(أخلاق النفس السيئة أو الرديئة) وأعطى علاجاً نفسياً لكل واحدة من هذه الاضطرابات وقد عرضنا ما تيسر للمحققين أن يجده في رسائله الفلسفية وقد اعتمد في أغلبها على شرح (العبد، ١٩٧٧) و (نجاتي، ١٩٩٣) وما تم الحصول عليه من هذه الاضطرابات في هذه الرسائل الفلسفية هي كالآتي:-

١ . الحسد :

عرفه فقهاء الإسلام بأنه تمنى زوال نعمة الغير إلا أن الرازي انفرد بتعريفه ؛ بأنه كراهة المرء أن ينال غيره خيراً البتة ، وهو احد أدواء النفس العظيمة الأذى لها، وهو مؤذ للنفس والجسد معا ، فأما للنفس فلأنه يذهلها ويشغل فكرها ويسبب لها بعض العوارض النفسية الرديئة مثل الحزن والهم والفكر ، أما للجسد فلأنه يعرض منه طول السهر ، وسوء التغذية ، كما أشار الرازي إلى أن الحسد شر ناتج من اجتماع البخل والشه في نفس الإنسان، فالشرير هو من يلتذ بطبعه مضار تنزل

بالناس (وهذا يناظر مصطلح السادية في الوقت الحاضر) ، ويكره ماوقع بموافقته
، وان لم يصدر منهم له سوء ، فالحاسد لا يفترق عن الشرير ، وكرهية الناس
للشرير معلومة ولا أحد ينكرها .

٠٢ العُجْب :

العُجْب بالنفس هو أن يرى الإنسان أدنى فضيلة فيه (عظيمة) ، ويحب أن يمدح
عليها فوق استحقاقه ، والمعجب بنفسه لا يرى أحدا أفضل منه في الخصلة التي يقع
بها المعجب بنفسه ، ورأينا أن هذا هو ما يسمى اليوم بتضخم الذات ولا يخفى على
المشتغلين بالعلوم النفسية خطورة هذا الاضطراب النفسي والذي اعتبره الرازي منذ
ذلك الحين داء " عظيما ، حيث رأى الرازي أن معظم أدواء النفس نابعة من فرط
محبة الإنسان لنفسه .

٠٣

٠٣ العشق والإلف:-

أن العشاق يتخيلون اللذة التي سيحصلون عليها عند نيل مرادهم دون أن يخطر
ببالهم حالة الأذى والألم التي يعانونها مدة طويلة قبل نيل مرادهم، ولو فكر العشاق
في مقدار المعاناة التي تصيبهم في العشق لهان عليهم أمره ، وقلَّ اهتمامهم به لأنهم
سيحزنون من حيث أنهم يظنون أنهم يلذون ، فضلا عن أنهم لا ينالهم من ملاذهم
شيئا ولا يصلون إليه إلا بعد أن يمسهم الهم والجهد ، ويأخذ منهم ويبلغ إليهم ،
وربما لم يزلوا من ذلك في كرب منصبه ، وغصص متصلة من غير نيل مطلوب
بته ، وكثير منهم يصير لدوام السهر والهم وفقد الغذاء إلى الجنون والوسواس ،
والى الدق والذبول ، فإذا هم قد وقعوا من حبال اللذة وشباكها في الرديِّ والمكروه ،
وآذنتهم عواقبها إلى غاية الشقاء والهلكة .

أما الإلف فقد رأى الرازي انه اخطر من العشق حيث اعتبره نوعا من
العشق ، تتمثل فيه خطورة على المجتمع ، لان بليته ليست بأقل من العشق أن لم

يكن اوكد منه وابلغ ،ويحدث الإلف في النفس البشرية عن طول الصحبة من كراهية مفارقة المحبوب ، وهذا يطابق مايسمى اليوم (بقانون المران) ، ومعناه أن الصلة بين الموقف والاستجابة له تزداد توثقا بال تكرار ، ويحكى أن احد الصوفية استوحش لمفارقة الحمى التي كانت تصاحبه بعد أربعين سنة ، ويشهد علم النفس الحديث ، على أن التجربة تؤكد أن المحبين قلما يصونون العهد ، وان هذا الحب الأبدى الذي يتحدثون عنه قلما يزيد عن عمر الزهور، حسب ما اوكدته التجارب .

٤ . الشره والنهم :-

من العوارض الرديئة التي تؤلم وتضر ، وتجلب انتقاص الناس للإنسان، ويتولد هذا العارض عن قوة النفس الشهوانية ، لاسيما إذا صاحبها عدم الحياء الناتج عن عمى النفس الناطقة ، فيصبح الداء مرضا مكشوبا ، وضربا من إتباع الهوى واتفق ابن الجوزي مع الرازي في أن هذا مرضا نفسيا ،وقال احد الصوفية وهو الجنيد البغدادي ؛ماخذنا التصوف بالقييل والقال، ولكن بالجوع وترك المألوف والمستحسن .

٥ . البخل :-

لقد قسم الرازي هذه الصفة إلى نوعين فمنها ماينتج عن العقل ومنها ماينتج عن الهوى فمدح الأولى وذم الثانية ، فالأولى تعني أن هناك من يدعوهم فرط الخوف من الفقر إلى التحفظ على مايبديهم ، وكذلك يدفعهم إليه بعد نظر وقوة وعزم استعدادا للنوازل ، ولم يذم الرازي هذا اللون من البخل لما له من هدف مقبول ، وهناك من يلذ لهم البخل لذاته ولو امنوا كل الجوانب وهذا هو المذموم لأنه ناتج عن الهوى ، لان المدخر للنكبات إنما تدخره النفس لدفع البلايا من جسدها لالدفع بلايا نفسانية ، فان الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) دفع أربعة أقراص إلى الفقير كانت معدة لإفطاره هو وأسرته ، وكان أبو ذر لايبيت معه في داره مما يفضل عنه حيث لايعبأ بالفقر أو الموت .

٠٦ الضار من الفكر:-

لقد حذر الرازي، الإنسان من طول الفكر الذي ينتج عنه (هم) لما فيه من إضعاف البدن ، وفي علم النفس اليوم انه قد يزداد التوتر داخل الفرد بسبب الفكر المستمر(المصطلح عليه بالضغوط النفسية)، لان (الهم والفكر) عارضان عقليان يجلبان الألم والأذى ،لاسيما إذا أفرط فيهما لأنهما يقعدان الإنسان عن مطالبه فضلا عن أن طول الفكر يهزل الإنسان السمين ويودي به إلى الوسواس والماليخوليا، وإلى الدق والذبول، إن إصلاح الجسد مقدمة ووسيلة لإصلاح الروح.

٠٧ الغضب :- عد الرازي الغضب من هوى النفس وهومن طبع الآدمي لدفع المؤذي عن نفسه ، وان الإنسان أعظم عدو للإنسان ، وعنه يصدر الظلم والهوان والغدر، ولا يختلف الباحثون قديما وحديثا مع الرازي في ذلك حيث يجعلون الغضب من أمراض النفس والدافع إلى المقاتلة ، ويحتاج الإنسان وقت الغضب الى العقل حتى لا يحدث هناك إفراط ، إذ الإفراط مضر بكل من الغاضب والمغضوب عليه وربما كانت نكايته بالأول اشد قسوة ، والذين ارتكبوا قبيح الأفعال وقت غضبهم كان السبب في هذا فقد عقولهم وهو ما يسوي أيضا بين الغاضب والحيوان ، وضرر الغضب يقع على العقل ويفسد أيضا الهضم بإخراجه الحرارة الغريزية إلى حرارة غريبة ، وينجم عن هذا كثرة تحريك الجسم واضطرابه وعدم استقرار الغذاء قبل عملية الهضم ، ولأمانع لدى الرازي أن يغضب الإنسان إذا كان هناك مايدعوه إلى ذلك لكن عليه استخدام الفكر والروية حتى يكون عادلا في غضبه وانتقامه ، ولا يتجاوز الحد ، وما يعينه على العدل أن يكون وقت المعاقبة خاليا من الكبر والبغض للمعاقب ، حتى لا يتجاوز مقدار الجناية ولا يكون مقصرا عنه فقد يكون الغضب هنا وسيلة لغاية نبيلة بشرط أن يرتبط بهذا وبالاعتدال.

٠٨ الخوف من الموت :-

إن انفعال الخوف من الموت من أقوى الانفعالات وقد يدفع إلى الجبن والتهور والخوف من الموت أكبر مشكلة تلازم الإنسان منذ بدع الإدراك إلى الشيخوخة فقد وصف الرازي الخوف من الموت بأنه عارض ، ومن الصعب دفعه عن النفس إلا أن تقنع بأنها ستصير إلى ما هو الأصلح لها، غير أن المسألة تحتاج إلى التلطف والاحتياط لإبعاد هذا الغم ، فالعاقل لا يغتم أبدا ، لأنه يبحث عن سبب الغم فيمكنه دفعه ، وذلك لأن المتصور للموت الخائف منه يموت في كل تصويرة موتة فتجتمع عليه من تصوره له مدة طويلة موتات كثيرة ، وبذلك يكون الخوف من الموت رذيلة يجب قلعها من النفوس •

ثالثاً . الفارابي (المعلم الثاني)

أ . اسمه : أبو نصر محمد بن محمد بن اوزلغ بن طرخان الفارابي (ناصر ، ٢٠٠١ ، ص ١٧٤) ، ويعرف بالمعلم الثاني لدراسته كتب أرسطو "المعلم الأول" ويعرف أبو نصر بن محمد الفارابي في اللاتينية بأسم (Alpharabius) .
(w w w.mawhopon.net) .

ب . أصله : تركي ، من مدينة فاراب

ت . مولده : عام ٢٥٩ هـج / ٨٧٠ م

ث . وفاته : عام ٣٣٩ هـج / ٩٥٠ م

ج . حياته ؛ نشأ الفارابي في كنف عائلة ميسورة حيث كان والده قائدا للجيش ، فيما أشارت بعض الأدبيات إلى انه نشأ في كنف عائلة فقيرة تكاد تكون معدمة ، وهاجر بصحبة والده إلى بغداد ، فدرس اللغة العربية وتعلم النحو على يد ابن السراج ، وقرأ الفلسفة على يد يوحنا بن حيلان ، ودرس المنطق على يد أبي بشر متى بن يونس ، غادر بغداد وتوجه إلى حلب ولزم بلاط سيف الدولة الحمداني واعتزل الناس واشتغل بالحكمة والتأليف ، ومارس القضاء إلا انه زهد في حياته فانصرف إلى العلم وعظم شأنه واكتفى بأربعة دراهم يتقاضاها من سيف الدولة يوميا يصرفها فيما يحتاجه من ضروريات العيش وصار واحد زمانه وبقي مؤثرا للزهد ، بالرغم من منزلته العالية ، وأكدت دراسات اخرى انه وفي سن متقدمة ، غادر مسقط رأسه متوجها للعراق لمتابعة دراساته العليا ، فدرس الفلسفة ، والمنطق ، والطب على يد الطبيب المسيحي يوحنا بن حيلان ، ثم درس اللغة العربية والموسيقى ، ومن العراق انتقل إلى مصر ثم إلى الشام حيث التحق بقصر سيف الدولة في حلب واحتل مكانة بارزة بين العلماء ، والأدباء ، والفلاسفة ، وكانت حياته حافلة بالعباء ، وفيما يخص إجادته للغات فأن الفارابي المولود من أب فارسي وأم تركية كان يجيد من اللغات ؛

الفارسية والتركية والكردية ، وقد أتقن العربية في بغداد حينما دخل العراق واستوطنها باعتبارها عاصمة العلم والمعرفة حينئذ ، فكانت فرصته في التلمذة على يد ابي بشر متى (ت ٣٢٨ هج/٩٣٩م) ودرس عنه المنطق ، ثم قرأ العلم الحكمي على يوحنا بن حيلان (المتوفى في بغداد في أيام المقتدر الذي رقى الخلافة سنة ٢٥٩ هج/٩٠٧م) واستفاد منه وبرز فيه على أقرانه ، ولعل الفارابي كان يجهل أو لا يجيد العربية حين جاء إلى بغداد ، وذكر بأنه كان يدرس النحو على أبي بكر بن السراج لقاء دروس في المنطق كان يلقيها عليه ، ثم اشتهرت تصنيفاته وكثير تلاميذه وصار أوجد زمانه ، وقد نبغ من تلامذته يحيى بن عدي ، وفي سنة ٣٣٠ هج/٩٤١م انتقل إلى دمشق ثم اتصل بسيف الدولة الحمداني صاحب حلب ، فضمه إلى علماء بلاطه واصطحبه في حملته على دمشق ، حيث توفي الفارابي سنة ٣٣٩ هج/٩٥٠م وله من العمر ثمانون سنة .

ومن الملاحظ أن المؤرخين والباحثين قد اختلفوا في سيرة حياة الفارابي من الناحية الاجتماعية إلا أنهم لم يختلفوا في علميته وإتقانه للعلوم من فلسفة ، منطق ، طب، لغة عربية، وعلوم أخرى كالفيزياء ، الرياضيات والموسيقى وكما سيأتي لاحقاً .

ح . مكانته: ((الفارابي اكبر فلاسفة المسلمين على الإطلاق)) كما نعته ابن خلكان ، فقد انشأ مذهباً فلسفياً كاملاً ، وقام في العالم العربي بالدور الذي قام به أفلاطون في العالم الغربي ، وهو الذي اخذ عنه ابن سينا وعدّه أستاذاً له ، كما اخذ عنه ابن رشد وغيره من فلاسفة العرب ، وقد لقب بحق "المعلم الثاني" على اعتبار أن أرسطو هو المعلم الأول .

خ . عصره؛ إذا صح ما قيل أن الفارابي ولد سنة ٢٦٠ هجرية فمعنى هذا انه ولد على عهد الخليفة العباسي المعتمد على الله الذي تولى الخلافة سنة ٢٥٦ هجرية إلى سنة ٢٧٩ هجرية وإذا كانت وفاته ٣٣٨ هجرية بعد أن انتقل إلى حلب وعاش في

كف سيف الدولة الحمداني فمعنى هذا انه عاصر في بغداد أربعة من الخلفاء هم؛ المعتمد على الله ، والمعتمد بالله ، والمكتفي بالله ، والمقتدر ، وكلهم من خلفاء العصر العباسي الثاني، وهذا يعني أن الفارابي ولد في أعقاب العصر العباسي الأول ، عصر الازدهار والنهضة الشاملة ، وانتهى به الأجل في أخريات العصر الثاني ، بعد أن اتسعت رقعة البلاد الإسلامية بكثرة الفتوحات وانتشار العرب بين بلاد الشرق والغرب يعلون كلمة الإسلام ويرفعون رايته أينما حلوا وليس من شك في أن العلم والمعرفة إنما يعظم أمرهما حيث ينتشر العمران ويستقيم أمر المسؤولين ، ومعنى هذا انه عاش في جو سياسي مضطرب سواء كان ذلك في دولة الحمدانيين في حلب أو تحت ظل البويهيين في بغداد ورغم هذا الاضطراب السياسي إلا انه لم يشتغل بالسياسة عمليا ولم يكتوي بنارها ، وإنما بحث الآراء السياسية وهو يتأمل النظريات السابقة التي كتبها فلاسفة السياسة والأخلاق السابقون ، ويبدو جليا أن أفلاطون أهم فيلسوف سياسي اثر في فكر أبو نصر محمد الفارابي وارئه .

د . مؤلفاته؛ للفارابي مؤلفات كثيرة أحصاها مؤرخو الفكر الفلسفي الإسلامي فكانت كالاتي: (١٢) كتاب في المنطق ،(٩) كتب في الرياضيات والنجوم والكيمياء،(٣) كتب في الموسيقى ، ولعل من أهم كتبه رسالة في العقل ، وكتاب آراء أهل المدينة الفاضلة ، وكتاب إحصاء العلوم ، وكتاب الجمع بين رأيي الحكيمين وكتاب السياسات المدنية ، وكتاب في التربية بعنوان رسالة في السياسة .

ذ . علم النفس عند الفارابي

يحتاج هذا الموضوع استهلاكية متواضعة قبل الدخول بنظرية النفس عند الفارابي كخلفية فلسفية لجذور اعتقاديته ولكونه موضوعا ذهب فيه الفلاسفة مذاهب شتى .

لقد كان لدى العرب اعتقاداً منذ الجاهلية بوجود الأرواح ، وبأن هذه تسكن بعض الأماكن وتلعب دوراً في الحياة اليومية، كذلك اعتقد الجاهليون أن أرواح القتلى لاتسكن حتى يؤخذ بالثأر لها، وسموا هذه ب(الهامة) ، وهي أشبه بطائر يصرخ فوق قبر الميت حتى يؤخذ بالثأر له ، وتشبيه الروح بالطائر فكرة تتردد لدى الساميين ولدى المصريين القدامى ، فقد ورد ذلك أيضاً في بعض الخرافات اليونانية ، وبعد ظهور الإسلام وتقدم السنين وخصوصاً في الفترة العباسية أصبح الفكر العربي الإسلامي لايميز بين فكرة النفس أو الروح ، والنظرة الأولى لذلك قرآنية المصدر ، فالقرآن يتكلم عن الصفة الإلهية التي تميز بها النفس؛ (ونفخنا فيه من روحنا) أو (قل الروح من أمر ربي) والى جانب ذلك أعطى القرآن تقسيماً للنفوس اكب عليه العلماء طويلاً ، فالنفس إحدى ثلاثة ؛ إما لوامة وإما أمارة أو مطمئنة ، ومع انتشار الفكر الفلسفي في المجتمع الإسلامي أصبح واضحاً آنذاك تأثر هذا الفكر بنظريات النفس بالفكر اليوناني ، وبتأثير الدين ركز البحث الفلسفي على بعض الجوانب دون الأخرى كالإطناب في البحث عن خلود النفس مثلاً، فللفارابي تقسيمه في النفس ، بل النفوس ، إذ يعتقد أن وجود النفس يتعدى عالم الكائنات الحية ، فالسماوية نفسها ، وللكواكب نفسها، وللعالم نفسه ، والدافع لهذا الرأي هو الاعتقاد أن النفس مبدأ حركة ومادامت الأجرام تتحرك فلها بالضرورة نفس تحركها .

عرف الفارابي النفس ، كما عرفها أرسطو من قبل ، بأنها (كمال أول لجسم طبيعي آلي ذي حياة بالقوة) وهو نفس التعريف الذي قال به الكندي من قبل . كما عرفها أيضاً مثل أرسطو بأنها صورة للبدن ، وقد قسم الفارابي القوى النفسانية الى ثلاثة تنبثق منها الفروع الأخرى وكما موضح في الشكل(١):



الشكل (١) يوضح تقسيم القوى النفسانية عند الفارابي

ولقد جاء في مخطوطة الفارابي (فصول منتزعة) التي حققها وقدم لها وعلق عليها فوزي متري نجار في جامعة ولاية ميشيغان الأمريكية، الكلام في النفس على النحو الآتي:-

١٠* للنفس صحة ومرض كما للبدن صحة ومرض ، فصحة النفس أن تكون هيئاتها وهيئات أجزائها هيئات تفعل بها أبدأ الخيرات والحسنات والأفعال الجميلة ، ومرضاها أن تكون هيئاتها وهيئات أجزائها هيئات تفعل بها أبدأ الشرور والسيئات والأفعال القبيحة ، وصحة البدن أن تكون هيئاته وهيئات أجزائه هيئات تفعل بها النفس أفعالها على أتم ما يكون وأكمله ، كانت تلك الأفعال التي تكون بالبدن أو بأجزائه خيرات أو شرورا ، ومرضاها أن تكون هيئاته وهيئات أجزائه هيئات لاتفعل بها النفس أفعالها التي تكون بالبدن أو بأجزائه ، أو تفعلها انقص مما ينبغي على ما من شأنها أن تفعلها .

* لا بد من الإشارة الى ان الفصول المنتزعة للفارابي قد اوردتها هذه الدراسة نصاً.

٠٢ الأجزاء والقوى العظمى التي للنفس خمسة ؛ الغاذي ، والحاس ، والمتخيل ، والنزوعي ، والناطق ، وسيتم توضيح ذلك بالاتي:-

أ ٠ الغاذي؛ (القوة الغاذية) هو الذي يفعل الغذاء أو به أو عنه فعلا ما ، ومنه القوة الهاضمة ، المنمية ، المولدة ، الجاذبة ، الماسكة، المميزة و الدافعة)
ب الحاس ؛ (القوة الحاسة) هي التي يدرك بها إحدى الحواس الخمس المعروفة عند الجميع ٠

ت ٠ المتخيل؛ (القوة المتخيلة) هي التي تحفظ رسوم المحسوسات بعد غيبتها ٠
ث ٠ النزوعي ؛ (القوة النزوعية) وهي التي يكون بها نزاع الحيوان إلى الشيء وبها يكون الشوق إلى الشيء والكراهة له والطلب والهرب والإيثار والتجنب والغضب والرضا والخوف والإقدام والقسوة والرحمة والمحبة والبغضة والهوى والشهوة وسائر عوارض النفس، وآلات هذه القوة هي جميع القوى التي بها تتأتى حركات الأعضاء كلها والبدن بأسره مثل قوة اليدين على البطش وقوة الرجلين على المشي وغيرهما من الاعضاء ٠

ج ٠ الناطق ؛ (القوة الناطقة) هي التي يعقل بها الإنسان وبها تكون الروية وبها يقتني العلوم والصناعات وبها يميز بين الجميل والقبيح من الأفعال وهذه منها عملي ومنها نظري والعملي منه (مهني) ومنه (فكري) فالنظري هو الذي به يعلم الإنسان الموجودات التي ليس شأنها أن نعملها نحن كما يمكننا ونغيرها من حال إلى حال ، مثل أن الثلاثة عدد فرد والأربعة عدد زوج ، فإننا لايمكننا أن نغير الثلاثة حتى تصير زوجا ، وهي باقية ثلاثة ، ولا الأربعة حتى تصير فردا وهي أربعة ، كما يمكننا أن الخشبة حتى تصير مدورة بعد أن كانت مربعة وهي خشبة في الحالين جميعا ٠٠٠ والعملي هو الذي به نميز الأشياء التي شأنها أن نعملها نحن ونغيره من حال إلى حال ، والمهني والصناعي ؛ هو الذي تقتنى به المهن مثل النجارة والفلاحة والطب والملاحة ٠ والفكري هو الذي به يروى في الشيء الذي نريد أن

نعمله حين ما نريد أن نعمله ، هل يمكن عمله أم لا وان كان أن يمكن فكيف ينبغي أن يعمل ذلك العمل .

٠٣ **الفضائل صنفان:** خلقية ونطقية ، فالنطقية هي فضائل الجزء الناطق مثل الحكمة ، العقل ، الكيس ، الذكاء وجودة الفهم والخلقية هي فضائل الجزء النزوعي مثل العفة ، الشجاعة ، السخاء والعدالة . وكذلك الرذائل تنقسم هذه القسمة وفي حيز كل قسم منها أعداد هذه التي عدت وإغراضها .

٠٤ **الفضائل والرذائل الخلقية** ؛ وهي تحصل وتتمكن في النفس بتكرير الأفعال الكائنة عن ذلك الخلق مرارا كثيرة في زمان ما واعتيادنا لها، فان كانت تلك الأفعال خيرات ، كان الذي يحصل لنا هو الفضيلة ، وان كانت شرورا ، كان الذي يحصل لنا هو الرذيلة

٠٥ **الهيئات النفسانية** ؛ التي يفعل بها الإنسان الخيرات والأفعال الجميلة هي الفضائل ، والتي يفعل بها الشرور والأفعال القبيحة هي الرذائل والنقائص والخسائس .

٠٦ كما أن **صحة البدن** هي اعتدال مزاجه ، ومرضه الانحراف عن الاعتدال كذلك صحة المدينة (ويقصد به المجتمع) واستقامتها هي اعتدال أخلاق أهلها ومرضها التفاوت الذي يوجد في أخلاقهم .

٠٧ **لا يمكن أن يفطر الإنسان** من أول أمره بالطبع ذا فضيلة ولا رذيلة كما لا يمكن أن يفطر الإنسان بالطبع حائكا ولا كاتباً ولكن يمكن أن يفطر بالطبع معداً نحو أفعال فضيلة أو رذيلة بان تكون أفعال تلك أسهل عليه من أفعال غيرها كما يمكن أن يكون بالطبع معداً نحو أفعال الكتابة أو صناعة أخرى بان تكون أفعالها أسهل عليه من أفعال غيرها فيتحرك من أول أمره إلى فعل ما هو بالطبع أسهل عليه متى لم يحفره من خارج إلى ضده حافز . وذلك لاستعداد الطبيعي ليس يقال له فضيلة ، كما أن الاستعداد الطبيعي نحو أفعال الصناعة ليس يقال له صناعة . ولكن متى كان

استعداد طبيعي نحو أفعال فضيلة وكررت تلك الأفعال واعتدبت وتمكنت بالعادة هيئة في النفس ، وصدر عنها تلك الأفعال بأعيانها ، كانت الهيئة المتمكنة على العادة هي التي يقال لها فضيلة • ولا تسمى الهيئة الطبيعية فضيلة ولا نقيصة وان كان يصدر عنها أفعال واحدة بأعيانها • وتكون الطبيعة لاسم لها • وان سماها مسم فضيلة أو نقيصة ، فإنما يسميها باشتراك الاسم فقط ، لأبأن يكون معنى هذه معنى تلك • التي هي بالعادة هي التي يحمد الإنسان عليها أو يذم ، وأما الأخرى فلا يحمد الإنسان عليها ولا يذم •

٨ • **عسير وبعيد** أن يوجد من هو معد بالطبع نحو الفضائل كلها ، الخلقية والنطقية ، إعدادا تاما كما انه عسير أن يوجد من هو بالطبع معد نحو الصنائع كلها • وكذلك عسير وبعيد أن يوجد من هو معد بالطبع لأفعال الشرور كلها ، إلا أن الأمرين جميعا غير ممتنعين • والأكثر أن كل واحد معد نحو / فضيلة ما أو فضائل نوات عدة محدودة أو صناعة ما أو عدة صنائع ما محدودة ، فيكون هذا معدا نحو ذا وآخر معدا نحو شيء آخر وثالث معدا نحو شيء ثالث من فضيلة أو صناعة •

٩ • **الهيئات الطبيعية والاستعدادات** وهي التي تتمثل نحو الفضيلة أو الرذيلة متى انضافت إليها الأخلاق المشاكلة لها وتمكنت بالعادة ، كان ذلك الإنسان في ذلك الشيء أتم مايكون • ومايمكن فيه من الهيئات يكون زواله عن الإنسان ، خيرا كان الذي يمكن فيه أو شرا ، عسيرا • ومتى وجد في وقت من الأوقات من هو بالطبع معد نحو الفضائل كلها إعدادا تاما ، تم تمكنت فيه بالعادة ، كان هذا الإنسان فائقا في الفضيلة للفضائل الموجودة في أكثر الناس حتى يكاد أن يخرج عن الفضائل الإنسانية إلى ما هو ارفع طبقة من الإنسان • وكان القدماء يسمون هذا الإنسان الإلهي • وأما المضاد له والمعد لأفعال الشرور كلها الذي تتمكن فيه هيئات تلك الشرور بالعادة ، يكاد أن يخرجوه عن الشرور الإنسانية إلى ما هو أكثر شرا منها • وليس له عندهم اسم لإفراط شره وربما سموه السبعي وأشباه ذلك من الأسماء •

وهذان الطرفان وجودهما بالناس قليل • فالأول متى وجد كان عندهم ارفع مرتبة من أن يكون مدنيا يخدم المدن ، بل يدبر المدن كلها ، وهو الملك(ويقصد به الطبيب النفساني في المصطلح الحديث) في الحقيقة • وأما الثاني إذا اتفق أن يوجد لم يرأس مدينة أصلا ولم يخدمها بل يخرج عن المدن كلها •

١٠ • **الهيئات والاستعدادات الطبيعية** وهي التي تتكون نحو فضيلة أو رذيلة منها مايمكن أن يزال أو يغير بالعادة زوالا تاما ويمكن في النفس بدلها هيئات مضادة لها ، ومنها مايكسر ويضعف وتنقص قوته من غير أن يزول زوالا تاما • ومنها مالا يمكن أن يزال أو يغير ولا أن تنقص قوته ولكن أن يخالف بالصبر ، وضبط النفس عن أفعالها ، والمجاذبة والمدافعة حتى يفعل الإنسان أبدا أضداد أفعالها • وكذلك متى كانت أخلاق رديئة تمكنت في النفس بالعادة فإنها تنقسم أيضا هذه القسمة •

١١ • **بين الضابط لنفسه والفاضل فرق**؛ وذلك أن الضابط لنفسه ، وان كان يفعل الأفعال الفاضلة فانه يفعل الخيرات وهو يهوى أفعال الشر ويتشوقه ويجاذب هواه ويخالف بفعله ما تنهضه إليه هيئته وشهوته ، ويفعل الخيرات وهو متأذ بفعلها • والفاضل يتبع بفعله ما تنهضه إليه هيئته وشهوته ، ويعمل الخيرات وهو يهواها ويشتاها ولا يتأذى بها بل يستلذها • وذلك مثل الفرق بين الصبور على الألم الشديد الذي يجده ، والذي لا يتالم ولا يحس بالألم • وكذلك العفيف والضابط لنفسه • فان العفيف إنما يفعل ماتوجه السنة في المأكول والمشروب والمنكوح من غير أن يكون له شهوة وشوق إلى ما هو زائل على ماتوجه السنة • والضابط لنفسه شهواته في هذه الأشياء / مفرطة وعلى غير ماتوجه السنة ، ويفعل أفعال السنة وشهوته ضدها • غير أن الضابط لنفسه يقوم مقام الفاضل في كثير من الأمور •

١٢ • **الشرور** تزال عن المدن إما بالفضائل التي تمكن في نفوس الناس وأما بان يصيروا ضابطين لأنفسهم •

١٣ . الأفعال التي هي خيارات هي الأفعال المعتدلة المتوسطة بين طرفين هما جميعا شر ، احدهما إفراط والآخر نقص . وكذلك الفضائل فإنها هيئات نفسانية وملكات متوسطة بين هيتين وكتاهما رذيلتان ، إحداها أزيد والأخرى انقص ، مثل العفة فإنها متوسطة بين الشره وبين عدم الإحساس باللذة ، فأحداها أزيد وهو الشره والآخر انقص . والسخاء متوسط بين التقدير والتبذير . والشجاعة متوسطة بين التهور والجبن ، والظرف متوسط في الهزل واللعب وما جانسهما بين المجون والخلاعة وبين الفدامة . والتواضع خلق متوسط بين التكبر وبين التخاصس . والحرية والكرم متوسط بين البذخ والصلف والطمذة و بين النذالة . والحلم متوسط بين إفراط الغضب وبين أن لا يغضب على شيء أصلا . والحياء متوسط بين الوقاحة وبين الحصر . والتودد متوسط بين التمقت وبين التملق وكذلك سائرهما .

ر . آراؤه في (الصحة النفسية)

تم اختزال معظم المفاهيم ذات الأبعاد الفلسفية البحثية وتسليط الضوء على المفاهيم ذات الدلالة النفسانية ، لكونها أكثر وضوحا في تقريب مفهوم الصحة النفسية في نظرية السعادة ، حيث أن هذه النظرية حققت من مخطوطة تحت عنوان (تحصيل السعادة) ، وأشار الفارابي إلى مفهوم السعادة أيضا في كتابه (آراء أهل المدينة الفاضلة) وحظيت هذه المؤلفات بالترجمة إلى اللغات غير العربية وكان لها شأن كبير لدى المشتغلين في الفلسفة والمنطق وحاليا لدى المختصين في العلوم التربوية والنفسية وفيما يأتي الكلام مفصلا عما تضمنت هذه النظرية :-

ان السعادة عند الفارابي هي بلوغ الإنسان استكمالها الأخير ، وهو مرتبة العقل المستفاد ، بحيث يكون أهلا لان تفيض عليه جميع المعقولات من العقل الفعال ، ففعل التعقل إذن ، هو الفعل الذي يحقق للإنسان السعادة ، قال الفارابي ؛ السعادة هي أن تصير نفس الإنسان من الكمال في الوجود إلى حيث لا تحتاج في قوامها إلى

مادة ، وذلك أن تصوير في جملة الأشياء البريئة عن الأجسام ، وفي جملة الجواهر المفارقة للمواد ، وان تبقى على تلك الحال دائما أبدا ، إلا أن رتبها تكون دون رتبة العقل الفعال ، واتصال العقل المستفاد بالعقل الفعال وتقبل فيض المعقولات منه ، هو ما يكون الخير الأعظم ، وأعظم سعادة يمكن أن يصل إليها الإنسان، وليست هناك سعادة أعظم منها ، وهذه السعادة كما قال الفارابي " هي الخير المطلوب لذاته ، وليست تطلب أصلا ولا في وقت من الأوقات لينال بها شيء آخر ، وليس وراءها شيء آخر يمكن أن يناله الإنسان أعظم منها " .

كما أن الإنسان يبلغ السعادة بأفعال إرادية ، بعضها فكرية ، وبعضها أفعال بدنية، وليست بأي أفعال اتفقت ، بل بأفعال محدودة مقدره تحصل عن هيئات ما ، ملكات ما مقدره محدودة . والأفعال اللاإرادية التي تنفع في بلوغ السعادة هي الأفعال الجميلة ، والهيئات والملكات التي تصدر عنها هذه الأفعال الجميلة هي (الفضائل) ، وهذه خيرات لا لأجل ذواتها ، بل إنما هي خيرات لأجل السعادة ، والأفعال التي تعوق عن السعادة هي الشرور ، وهي الأفعال القبيحة ، والهيئات والملكات التي عنها تكون هذه الأفعال هي النقائص والرذائل والنقائص ، وبما أن الفارابي ذهب إلى أن فعل التعقل هو الفعل الذي يتحقق به أعظم سعادة للإنسان من جهة ، فانه ذهب أيضا إلى أن الفضائل هي مصدر الأفعال الإرادية الجميلة التي تفيد في بلوغ السعادة من جهة أخرى، فيمكن أن يستنتج من ذلك أن الفارابي يرى وجود علاقة وثيقة بين الأخلاق والمعرفة العقلية ، فالأفعال الإرادية الجميلة التي تدل على الأخلاق الجميلة أمر ضروري في (صفاء النفس الإنسانية) ، وفي ترقئها في مراتب التعقل حتى نصل إلى مرتبة العقل المستفاد الذي هو أهل لتقبل فيض المعقولات عليه من العقل الفعال ، وهذا هو الكمال الذي تسعى النفس الإنسانية إلى تحقيقه ، وهو الذي يحقق لها أعظم السعادة . واستنتج من فلسفة الفارابي على وجه العموم ومن نظريته في السعادة على وجه الخصوص ومن ميله في حياته

الشخصية إلى التقشف والزهد والوحدة والاستغراق في التأمل ، نزعته الروحية ، واتجاهه الصوفي ، غير أن تصوف الفارابي يختلف عن تصوف الصوفية ، حيث أن تصوفه نظري علمي ، فبالعلم يصل الإنسان إلى السعادة ، بينما يذهب الصوفية إلى أن السبيل إلى السعادة هو التقشف والحرمان من اللذات الدنوية ، وقد امتد اثر نظرية السعادة الفارابية إلى بعض فلاسفة العصور الحديثة مثل (اسبينوزا Spinoza) الذي ذهب إلى أن كمال النفس البشرية في أن تنزع إلى الله ، وتتجه نحوه وتحبه، وتجد في حبه لذة لاتنقطع ، وغبطة تجل عن الوصف .

وإذا كانت نظرية السعادة الفارابية قد لقيت اهتماما بالغا من المشتغلين في الحقل الفلسفي فان المشتغلين في الحقل التربوي والنفسي قد اهتموا بها أيضا مما يدل على أهميتها في الحياة الإنسانية ، نفسيا وتربويا ، وقد رأينا من خلال هذه الأهمية أن نذكر شرحا آخرًا موجزا لهذه الآراء القيمة ، ومنها رأي (التكريتي ، ١٩٨٨) أن السعادة العظمى التي تطلب لذاتها عند الفارابي هي أن تتحرر النفس من قيود المادة وأغلالها فتصير عقلا كاملا ، أي أن تصير نفس الإنسان من الكمال والتخلص من أدران المادة وغواشيها بحيث لاتحتاج في قوامها إلى مادة ، وان تبقى على تلك الحال دائما أبدا ، واستطراد قائلًا ؛ إن النفس تبلغ ذلك بأفعال إرادية بعضها أفعال فكرية ترمي إلى معرفة علوم الفلاسفة القدماء وبعضها أفعال بدنية ، فالسعادة لاتأتي إلا عن طريق العقل والحكمة والتأمل أولا ، ثم الابتعاد عن الأعمال القبيحة والشهوات ثانيا ، إن السعادة هي الغاية القصوى التي يشتهاها الإنسان ، وإذا كان كل مايسعى إليه الإنسان هو في نظر الفارابي خير وغاية في الكمال ، فان السعادة هي أسمى الخيرات جميعها فبقدر سعي الإنسان إلى بلوغ الخير لذاته تكتمل سعاداته ، وتنال السعادة بممارسة الأعمال المحمودة عن إرادة وفهم متصلين ، ولذا فان أي إنسان يستطيع عمل الخير ويسير فيه وينال السعادة إذا أراد ذلك فما عليه إلا محاولة تنمية خصال الخير الموجودة في نفسه بالقوة لتصير ملكة راسخة تتجه

دائماً إلى عمل الخير، وإن الممارسة عنصر هام عند الفارابي في الحصول على اكتساب الأخلاق والسعادة • وإذا كانت السعادة هي الخير المطلوب لذاته ولا يتسنى بلوغها إلا بالفضائل فإن الفضائل الفكرية أسمى من الفضائل الخلقية والعملية، لأن الفضائل الفكرية شرط لها بل إن القوى الناطقة العملية لم تجعل إلا لتخدم النظرية ، ولم تجعل النظرية لتخدم شيئاً آخر وإنما ليتوصل بها إلى السعادة • ولا يتسنى بلوغ السعادة الكاملة إلا للنفوس الطاهرة المقدسة التي لا تشغلها جهة تحت عن جهة فوق ، ولا يستغرق الحس الظاهر حسه الباطن • وقد يتعدى تأثيرها من بدنها إلى أجسام العالم وما فيه وتقبل المعلومات من الروح والملائكة بلا تعليم من الناس ، أما الأرواح العامية الضعيفة فإنها إذا مالت عن الباطن غابت عن الظاهر وإذا مالت إلى الظاهر غابت عن الباطن ، أما الروح القدسية فلا يشغلها شأن عن شأن وإنما تجاوز عالم الحس لمشاهدة الحقيقة والبهجة الدائمة •

الفصل الثالث : الصحة النفسية عند علماء النفس الغربيون

سيجموند فرويد

جون. ب. واطسون

كارل روجرز

يوطنة مهمة

استعرضنا فيما تقدم موضوع الصحة النفسية في الفكر الإسلامي واخترنا ثلاثة من الفلاسفة الذين مثلوا جانبا مهما من هذا الفكر بجانبه الفلسفي والنفسي فضلا عن آرائهم في النفس وصحتها أو مأسموها (بالسعادة) والتي أرجعها البعض إلى الفضائل الخلقية وسنستعرض بالمقابل ثلاث من أشهر من مثل الفكر الغربي في علم النفس ونظرياتهم ومسلمات تلك النظريات لاسيما موضوع الصحة النفسية، والفرق الذي تجاوزناه هنا هو الفرق الزمني بين الثلاثة من الفلاسفة المسلمين السابق ذكرهم، والثلاثة اللاحقين (النظرء) من علماء النفس الغربيين لأسباب رأيناها مقنعة منها :-

اولا:

أ. لو اخترنا ثلاثة من علماء الغرب لنفس الفترة الزمنية التي تناظر فترة فلاسفة الإسلام (الكندي، الرازي والفارابي) فإن علوم أولئك الغربيون في تلك الفترة لا تدرّس في الجامعات العربية والإسلامية كعلم نفس منهجي ومنه موضوع الصحة النفسية كما هو اليوم بمفردات ومقررات وزارية .

ب. انه لا يخفى على المشتغلين في الميدان التربوي والنفسي أن علم النفس كان فرعا من الفلسفة ينتهج طريقته في البحث، وان أكثر الموضوعات التي درسها هي ذات طابع فلسفي حتى تمت عملية انفصاله عنها عام (١٨٧٩ م) فتأثر أثناء نموه وتطوره بعدة مؤثرات من العلوم الطبيعية كانت سببا باختلاف وجهات نظر علماءه إلى طبيعة الظاهرة النفسية وتأويلها، بينما ظلت الفلسفة الإسلامية وما تضمنته من أبعاد نفسية، رافدا مهما لدى المسلمين بسبب عدم خروجها المطلق من المصادر الرئيسية في شريعته الإسلامية .

ثانيا : من باب التناظر وكما تم عرض مكونات النفس الإنسانية وطبيعتها لدى الفلاسفة السالف ذكرهم والتي كانت المرجعية لرؤيتها للصحة النفسية في الفكر

الإسلامي ، فان ذلك حدا بالموضوع استعراض وجهة نظر علماء النفس الغربيون في نفس الأمر لكونه الإطار المرجعي العام الذي شكل منطقاتهم النظرية في الصحة النفسية .

وتأسيسا على ماتقدم فقد تم اختيار طريقة طرح هذا الموضوع على النحو الآتي:-

١ .لمحة تاريخية للصحة النفسية بشكل عام .

٢ . الصحة النفسية لدى علماء النفس الغربيون (الفكر الغربي)

١ .لمحة تاريخية للصحة النفسية

على الرغم من أن الاضطرابات النفسية والعقلية ترجع في تاريخها إلى بدء الخليقة إلا أن الدراسة العلمية بهذه الاضطرابات قد تعثرت كثيرا لأسباب عدة منها أن الإنسان كان ابعد الكائنات عن نفسه ومن ثم فإن الإنسان قد تقدم في سائر فروع المعرفة ولكنه تعثر كثيرا في التعرف على جوانب القصور في شخصيته ، حيث أن النظرة إلى المرض النفسي أو العقلي عبر العصور لم تكن نظرة علمية متوازنة كما هو اليوم وإنما كان ينظر إلى المريض على أن به مسا من شيطان أو روحا شريرة وكان العلاج يتم عن طريق فتح ثقب في جمجمة المريض ليسمح للشيطان بالهروب ، أو يقيد المريض بالسلاسل ويضرب ويمنع عنه الطعام كما دلت على ذلك الشواهد التاريخية ، وهذا يعني أن الإنسان وان كان قد نظر إلى الأمراض التي تمس العقل نظرة متطابقة مع النظرة الفلسفية والدينية السائدة في ذلك الزمان والمكان، إلا أن البعض عدّها حالة راقية من التواصل مع الآلهة ، يبلغها أشخاص اختارتهم الآلهة لتحقيق أهدافها على الأرض أما التطابق مع النظرة الدينية السالفة الذكر فان البعض الآخر كان قد عدّها عقوبة من الآلهة لذنوب وأخطاء اقترفها الإنسان فضلا عن أن آخرين عدّوها مسا من الأرواح الشريرة ، وبالتالي كانت طرق العلاج المختلفة التي ابتدعها الإنسان تتناسب مع تلك النظرة

للأسباب، وشيئا فشيئا بدأ مفهوم الصحة النفسية أكثر وضوحا وتطورا، ففي الحضارة الرومانية قبل الميلاد نمت المعرفة إلى أن المخ هو العضو الذي يركز فيه النشاط العقلي المعرفي ، وقد سجل البابليون وكذلك فعل المصريون على أوراق البردي وصفا لذهان الشيخوخة ، والهستريا وغير ذلك .

إن الجذور الأولى للاهتمام بالصحة النفسية والوقاية من الأمراض والاضطرابات النفسية وفهم أسبابها يعود لآلاف السنين ، فان الصين ومصر الفرعونية والعراق (حضارة وادي الرافدين) ، وحضارات أمريكا الجنوبية وغيرها قدمت إسهامات كثيرة ومتنوعة في محاولات فهم الأمراض والاضطرابات النفسية ، وعالجتها استنادا إلى فهمها لطبيعة الأسباب المؤدية لها ، وحسب ماتوفر لديها من أسباب ووسائل وبغض النظر عن طبيعة تلك الإسهامات والمحاولات ، وأنها كانت في كثير من الأحيان خاضعة لتفسيرات غيبية أو غير متناسبة مع الطبيعة الحقيقية للأمراض ، إلا انه يمكن اعتبارها مؤشرا لاهتمام الإنسان بالجوانب النفسية للصحة منذ القديم ، ومحاولة لفهم الإنسان في سلوكه وخبرته .

وإذا كان مجال الصحة النفسية من أكثر مجالات علم النفس إثارة لاهتمام الناس ؛ سواء المتخصصين منهم في العلوم الإنسانية أو غيرهم من عامة الناس ، ولعل من اقرب الأسباب التي تجعل هذا الكلام مبررا هو أن الوصول إلى مستوى مناسب من الصحة النفسية السليمة أمر مرغوب فيه من قبل الناس جميعا وليس هنالك شخص يرغب حياة نفسية غير صحية ، مما يصحح الظن الخاطئ الذي ساد لدى البعض بان الصحة النفسية لم تظهر إلا بظهور علم النفس بفروعه المتعددة الحالية ، لان تأمل الإنسان لم يكن مقتصرا في الكون وحسب ، بل تعداه إلى التأمل في نفسه لمعرفة كنهها وتعليل مايعتريها من تغيرات في النوم واليقظة ، وتفسير ما يطرأ من أحوال صحة ومرض، خوف وامن، حزن وفرح، هدوء

وهياج، وحاول السيطرة عليها بالتعاون والتمايم، ولجأ إلى السحرة والمشعوذين، ليجد عندهم الهدوء والراحة النفسية.

أما بعد الإسلام فقد قام المجتمع العربي برعاية المرضى العقلين من خلال إنشاء دور للمرضى (المستشفيات) حيث تمثل ناحيتين : الأولى الناحية العلاجية والثانية الناحية التعليمية ، وهي تقابل اصطلاح اليوم (كلية الطب) ومستشفاها ، فقد شيد الأمويون أول دار للمرضى في عهدهم ، بيد أن تلك الدور تطورت وازدادت في العصر العباسي زيادة كبيرة منها في بغداد والقاهرة وغيرها من العواصم الإسلامية ، كما أن للعلماء العرب والمسلمين أثرا واضحا وكبيراً في الاتجاهات الحديثة والمعاصرة ومنها نظرية التحليل النفسي التي تناولت الاضطرابات النفسية والعقلية حيث تحدث الفارابي (ت ٣٣٩) عن الحاجة إلى الشعور بالأمن من خلال تماسك الجماعة كوسيلة للتخفيف من القلق وتقويم الذات وتحديد الاستجابة الصحيحة .

ولقد كان في أواخر القرن الثامن عشر قادة للاتجاه الحديث في العلاج النفسي منهم روش (rush) الذي اهتم بالدراسة العلمية لعلاج المرض العقلي وادخل طريقة العلاج الاشرطي في علاج الكحوليين وأوصى بالعلاج المائي والرياضة ، ثم تشعبت الاتجاهات والآراء والمدارس في أواخر القرن التاسع عشر حيث قام كراپلين (kraepelin ١٨٢٥-١٩٢٦) بتصنيف ووصف للمرض العقلي معتقدا إن الأمراض العقلية هي علامة مهمة وواضحة في الأمراض الدماغية .

وفي نهاية القرن التاسع عشر والرابع الأول من القرن العشرين ظهرت مدرسة التحليل النفسي على يد فرويد (Freud ١٨٥٦-١٩٣٩) الذي اعتقد بان العصاب نتيجة للصراع بين ألهو والانا الأعلى (علي، ٢٠٠١، ص٢٩) ، كما ركز ادلر (Adler) على الصدمات النفسية والمؤثرات الثقافية والاجتماعية ، واهتم يونك (Jung) بالمسائل النفسية واستخدام طريقة التداعي الحر وادخل مفهوم

اللاشعور الجمعي، كما اهتمت هورناي (Horney) بالاتجاهات العصائية وأهمية تكوين علاقات اجتماعية ايجابية في العلاج واعتباره إعادة تربية وتعليم .
أما في منتصف القرن العشرين برزت الاتجاهات السلوكية من ضمن الاتجاهات المتعددة في علم النفس والتي أكدت على دور عمليات التعلم في نشوء وتطور الأمراض والاضطرابات النفسية والاتجاهات الدينامية والإنسانية والمعرفية وتنوعت المبادئ العلاجية ،وقد خُطت الأقطار العربية خطوات متشابهة تتمثل في زيادة الاهتمام بقضايا الصحة النفسية والوقاية وإعادة التأهيل ، كما زادت في تلك الأقطار عدد البحوث والدراسات العلمية والرسائل الجامعية وإقامة عدد من المؤسسات المتخصصة وإنشاء عدد من الجمعيات والمؤتمرات ذات العلاقة كان أولها مؤتمر الاهتمام بالصحة النفسية الذي عقد في القاهرة سنة ١٩٧٠ .

٢. الصحة النفسية لدى علماء النفس الغربيون

إن علماء النفس الغربيون وان كانوا قد أطلقوا كلمة (علم النفس) ، فان ذلك لايعني من كلمة النفس أنها جوهر قائم بذاته كما رأها "فلاسفة الإسلام" ، وإنما تعني مجموعة الظواهر والحالات النفسية والخواطر التي في خبرة الإنسان ، وبالتالي فإن تاريخ علم النفس بصورته الموضوعية الحالية وان كان قصيرا إلا أن النفس الإنسانية كانت ولا تزال هي من أقدم المواضيع التي تعرض لها الإنسان بالملاحظة والدراسة ، حيث كان القدماء كانوا يعدّون علم النفس فرعا من الفلسفة ، لاشتماله عندهم على البحث في حقيقة النفس وعلاقتها بالبدن ، وبقائها بعد الموت ، أما المحدثون فأنهم يجرّدون علم النفس من كل طابع فلسفي ويطلقون عليه اسم (السيكولوجيا) وتعني البحث في ظواهر النفس للكشف عن قوانينها ، لا البحث في جوهر النفس ، ولما كان علم النفس علما وضعيا يعتمد على الملاحظة ، والتجربة كغيره من العلوم الوضعية ، فذلك يعني أن له طريقة يختلف بها عن باقي العلوم

فهو يعتمد على أساس مزدوج من الملاحظة الذاتية (التأمل الباطني) والملاحظة الموضوعية (الخارجية) وأحسن تعريف لهذا العلم هو " العلم الذي لا يبحث في النفس ، بل يبحث في الظواهر النفسية شعورية كانت أو لاشعورية ، للكشف عن قوانينها العامة ، فالطبيعة الإنسانية كانت تحظى باحترام تام في الفلسفة ، إلا أنها وقعت تحت هجمات عديدة في القرن العشرين جعلت منها فكرة غير مرغوبة ، وغالبا يتم تجنبها في مناهج الفلسفة الرئيسة وأقسامها ، ونادرا" ما كانت تذكر في المجتمعات الفلسفية ، وامتد تأثير ذلك ، حيث صار القرن الواحد والعشرين يشهد تأثير تقنيتين رئيسيتين على الأقل هما الكومبيوتر وعلم دراسة الجينات (Genomics) .

وان دل هذا على شيء فإنما يدل على إن علم النفس في الفكر الغربي غير معني بالقوى الغيبية أو الموجودات الروحية وما شاكلها ، إذ أن هذه الأمور لا تدور في مدار أبحاثه ، ولعل من المهم ذكر خصائصه ؛ فهو العلم الذي يدرس السلوك الإنساني بمنهج قائم على الملاحظة والفرض والتجربة بهدف الوصول إلى القوانين المنظمة لهذا السلوك ، حتى يمكن ضبطه والتنبؤ بإمكانية وظروف حدوثه ، وتجديد أفضل الشروط للاداءات السلوكية التي تجعل صاحبها أكثر توافقا سواء مع نفسه وجسده أو مع العالم الخارجي ، انه العلم الذي لم يكتف بدراسة الحياة الشعورية للفرد إنما راح يبحث وينقب في أعماق الإنسان بحثا عن حياته اللاشعورية ، فضلا عن انه علم لم يقف عند حدود التنظير ، إنما تغلغل في جميع جنبات الحياة ووصل إلى كافة الميادين يتناولها بالبحث والتمحيص ليؤكد نظريات أو يعيد تقويمها ، وعبر كل هذه الأنشطة ظل لصحة الإنسان مكان بارز ، ولاعجب أن يتداخل أكثر من فرع من فروع علم النفس في تناول جوانب تلك الصحة .

لقد أكد علماء النفس الغربيون بمدارسهم المتعددة بان (العقل والنفس) شيء واحد هو النفس (Psycho) وان هذه النفس "شيء مادي" يخضع للقوانين العلمية

والتجارب المضبوطة ، وان نفس الفرد موجودة بطريقة مادية في المشتبكات العصبية المختلفة الموجودة في الدماغ والتي تتصل ببعض من خلال نبضات كهربائية تحت تأثير مواد كيميائية وهرمونية خاصة ، وأي تلف أو خلل في الشحنات الكهربائية من حيث كمية المواد الكيميائية سيؤدي إلى اضطراب في وظيفة الخلية العصبية ، ومن هنا تنشأ الاضطرابات النفسية والعقلية ، ومن ثم يتجه الطب النفسي الحديث في العلاج إلى إعادة التوازن البيولوجي في الدماغ ، فضلا عن أن يعيش الفرد بصحة نفسية طيبة ، وما يتبع ذلك من استمتاع بالحياة ، يتوقف على عدد كبير من العوامل التي تؤثر على نشاط الفرد سواء ارتبطت هذه العوامل بماضي الفرد أو حاضره أو ما يتوقعه في مستقبله ، وسواء ارتبطت هذه العوامل بالفرد نفسه أو بالحياة التي يعيشها ، فان تلك العوامل جميعها حدد نوع النشاط الذي يقوم به الفرد ، وكل ذلك يؤثر في استجابة الفرد لما تأتي به الحياة .

ولكي يتحدد المعنى الدقيق للصحة النفسية لدى علماء النفس الغربيون فان ذلك ألزم الباحث بأن قدّم تفصيلا عن أساسياتها ومسلّماتها والتي من خلالها يمكن أن تتوضح مرجعية فكر هؤلاء العلماء الكبار من خلال مدارسهم النفسية في تفسير نشاط الفرد سلبا كان أو إيجابا والحكم على حياته بالسواء أو الاضطراب وما يلحق الفرد من جرائها من سعادة وشقاء ، نجاح وإخفاق ، نشاط وكسل ، اختلاط وعزلة ، حب وكره ، وما إلى ذلك من علامات الاتفاق والاختلاف في الشخصية الإنسانية ، وسيكون تسلسل العلماء النظراء ومدارسهم كالآتي:-

أولاً : فرويد (مدرسة التحليل النفسي)

١ . حياته

كان سيجموند فرويد Freud Sigmund (١٨٥٦-١٩٣٩م) طبيباً نمساوياً تخصص بالأزمات العصبية ، وقد حضر عام ١٨٨٥م إلى باريس حيث أمضى مدة سنة كان بالقرب وتحت إشراف شاركو Charco ليرى كيف كانوا يحدثون التخشب ، وأنواع الشلل الهستيرية بواسطة التنويم المغناطيسي (Hypnosis)، ثم ما لبث أن رجع إلى فرنسا مرة أخرى حيث بقي طوال صيف ١٨٨٩ في نانسي ، ليقف على منهج برنهايم ونظرياته وتقنيته في التنويم ، كان ذلك بعد أن ازداد إيمانه بفعل وتأثير الإيحاء ، فضلا عن انه كان ذو ثقافة عامة وواسعة جدا" ، فهو أول من صور العوامل الوراثية مع العوامل البيئية ، خاصة الاجتماعية وصراع هذه مع تلك ، واثر ذلك في تكوين الشخصية ونموها ، كما بين كيف تنشأ سمات الشخصية وكيف تتغير وكيف تتحرف نتيجة لهذا التفاعل والصراع، وكان تميز نظريته في الشخصية من باب انه لم يقنع بوصف سمات الشخصية بل حاول تفسير نشأتها ، حيث رأى أن للشخصية جوانب ثلاثة هي (ألهو) و (الأنا) و (الأنا الأعلى) ، وكما سيأتي تفصيل ذلك لاحقا .

٢ . عصره

امتدت حياة فرويد Freud بين عامي ١٨٥٦م و ١٩٣٩م وهذا يعني انه عاش أكثر من نصف عمره في القرن التاسع عشر، وانطلاقاً من الرابطة الموضوعية بين الوجود الاجتماعي للفرد كمتغير مستقل وبين الوعي الاجتماعي له كمتغير تابع فان الأمر يقتضي تحديد أهم الخصائص العلمية تميز بها القرن التاسع عشر، حيث شهد النصف الأخير منه واكتسب أسس تكوينه العلمي والفكري ، وهكذا يمكن وصف النصف الثاني من القرن التاسع عشر بأنه عصر المواجهة

المكتشفة بين الحقائق الملموسة والواقع على الأرض وبين المفاهيم المثالية والغيبية ، حيث بدأت المواجهة بالأمور الآتية:

٠١ ظهور اكتشافين مهمين في علم الفيزياء هما ؛ اكتشاف الإلكترون ومن بعده

اكتشاف ظاهرة النشاط الإشعاعي Radio activity

٠٢ كان تتابع الاكتشافات الفيزيائية في هذه الفترة وجهت ضربة الى موضوع

وفلسفة الغيبيات .

٠٣ كذلك فقد شهد النصف الثاني من القرن المذكور عام ١٨٥٩ (أي بعد ميلاد فرويد بثلاث سنوات) اكتشاف في حقل علوم الحياة (البيولوجي) ففي العام المذكور ظهر كتاب دارون Darwin أصل الأنواع origin of species حيث وضعت هذه النظرية حدا لتلك النظرة التي ترى أن الحيوانات والنباتات هي من خلق قوى غيبية ، ونادت هذه النظرية بان عضويات كثيرة في عصرنا هي حصيلة التطور التاريخي للمادة العضوية ابتداء" من عضويات أولية وحيدة الخلية، وان أنواعا حيوانية ونباتية متعددة هي ثمرة عملية تطور طبيعي طويلة.

٣. فلسفة فرويد

قد يعترض البعض على هذا العنوان (فلسفة فرويد) على أساس أن فرويد منظراً في علم النفس وليس فيلسوفا باعتبار أن الفيلسوف هو الذي يكون مجاله المعرفي في القدماء الخمس وهي ؛ (الله ، النفس ، الهيولي ، الزمان ، والمكان) ، إلا أننا رأينا بأنه كلمة مناسبة إذا ما أخذنا بما أصدره الفيلسوف الفرنسي المعاصر جيل دولوز G. dollos وصديقه فيليكس كاتاري F. katary تعريفا عن الفلسفة بأنها ؛ (فن صياغة وإنشاء وصنع المفاهيم) ولا يخفى على واحد من المختصين بالمجال النفسي والتربوي ما قدمه فرويد من مفاهيم في علم النفس . هناك اتجاهان بارزان في فلسفة فرويد حول طبيعة الإنسان ، الأول اتجاه يهتم بدراسة ما هو كائن ؛ أي دراسة ما يصدر عن الإنسان من أفعال ، وبالتالي يسعى

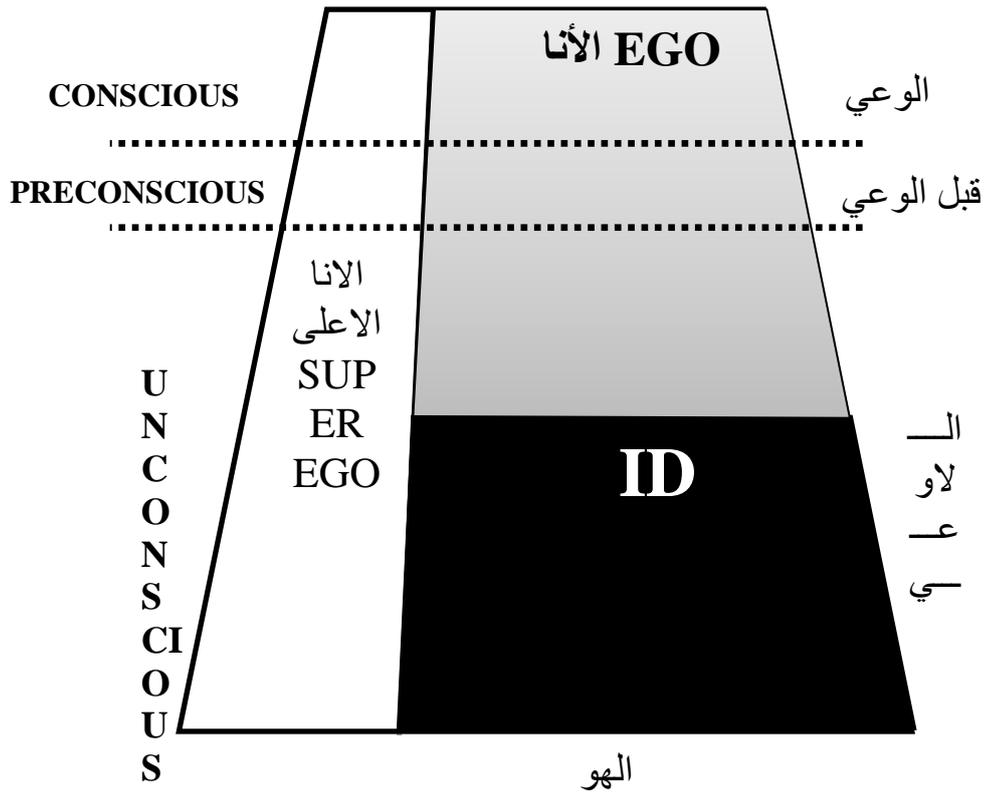
هذا الاتجاه إلى تحليل الطبيعة البشرية إلى أجزائها ، ثم ضم هذه الأجزاء بعضها للبعض الآخر ، حتى يتم الحصول على نظرة متكاملة ، أما الاتجاه الثاني فإنه يبدأ بدراسة الطبيعة البشرية ككل ويأخذ في الاعتبار هذا الكل عند دراسة أى جزء من هذه الطبيعة ، كما اهتم الاتجاه الأول بدراسة النزعات الفطرية لدى الإنسان وأعطى لها تسميات مختلفة منها : الغرائز (والتي تعني القوة البيولوجية الداخلية والتي تجعل الكائن الحي ميال إلى أن يسلك بطريقة معينة دون أخرى)، ومنها الحوافز ، الرغبات ، وحدات العمل النفسي، وقد تبني فرويد Freud وجهة النظر الغرائزية حول الطبيعة البشرية وحاول تفسير سلوك الإنسان عن طريق غريزتين أساسيتين هما غريزة الحياة ويمثلها مبدأ اللذة وغريزة الموت ويمثلها مبدأ العدوان ، والغرائز كما تصورهما فرويد وأصحاب مدرسته أنها فطرية موجودة عند جميع الناس ، لاتعلم ولا تكتسب ، ولكن يولد الفرد مزودا بها ، ومن بين هذه الغرائز أيضا غريزة البحث عن الطعام ، وغريزة الخوف ، وغريزة الجنس ، وغريزة الأمومة .

٤٠ نظريته في الصحة النفسية

عندما قدم الباحث فلسفة فرويد Freud قبل نظريته إنما أراد بذلك أن يبين أن نظريته كما أشارت الدراسات النفسية بأنها(ترتكز على مفهوم الحتمية البيولوجية ويفهم منها أنها غير مهتمة البتة بالبعد الاجتماعي ، فقد افترض فرويد Freud بان الجهاز النفسي مكون من ثلاثة أقسام تمثل هذا الجهاز وهي : الوعي ، ألقبوعي ، اللاوعي ، حيث كان ذلك عام ١٩٠٠م إلا انه طوّر نظريته بعد عدة سنوات ففي عام (١٩٢٣) قدم افتراضات " جديدة لنظريته موضحا" أن النفس تتكون من ثلاثة أقسام هي على التوالي ؛ ألهو ، الأنا ، الأنا الأعلى ، ولقد قام فرويد بشرح الافتراضات التي جاءت بها هذه النظرية وكما يأتي :-

١٠١ طبوغرافية النفس الإنسانية : افترض فرويد Freud أن النفس الإنسانية تتكون من أجهزة ثلاثة : ألهو Id والانا Ego والانا الأعلى Super ego ، ثم حدد

محتويات كل جزء ، فجعل ألهو مستودعا للغرائز الفطرية والبدائية ذات الطبيعية الجنسية وكذلك الحوادث والذكريات المؤلمة والمرفوضة اجتماعيا ، أما الأنا فهو ما يبدو من الإنسان للآخر انه المسؤول عن الحياة الشعورية للفرد ومن خلاله يتم التعامل مع العالم الخارجي ، وأخيرا جعل الأنا الأعلى مخزنا للقيم والعادات والتقاليد التي يمتصها الفرد من المجتمع خلال عملية التنشئة الاجتماعي ، وهنا يشعر الملاحظ لسلوك الفرد أن ليس هناك حدودا فاصلة بين استجابات الفرد وربطها بأحد المكونات الثلاثة (ألهو، الأنا، الأنا العليا) إذ تتأرجح استجاباته ، ويبدو أن ليس هناك سلوكا خالصا يرد للهو، وخالصا يرد للانا ، والانا الأعلى ، لان هذه المكونات تتداخل بنسب مختلفة ويحدها مدى سيطرتها وشيوعها أكثر من غيرها ، فموقفه يتحدد من خلال قرار الفرد وهدفه ، والهدف والقرار مهمان للغاية والشكل (١) يوضح ذلك .



الشكل (١) اقسام النفس عند فرويد

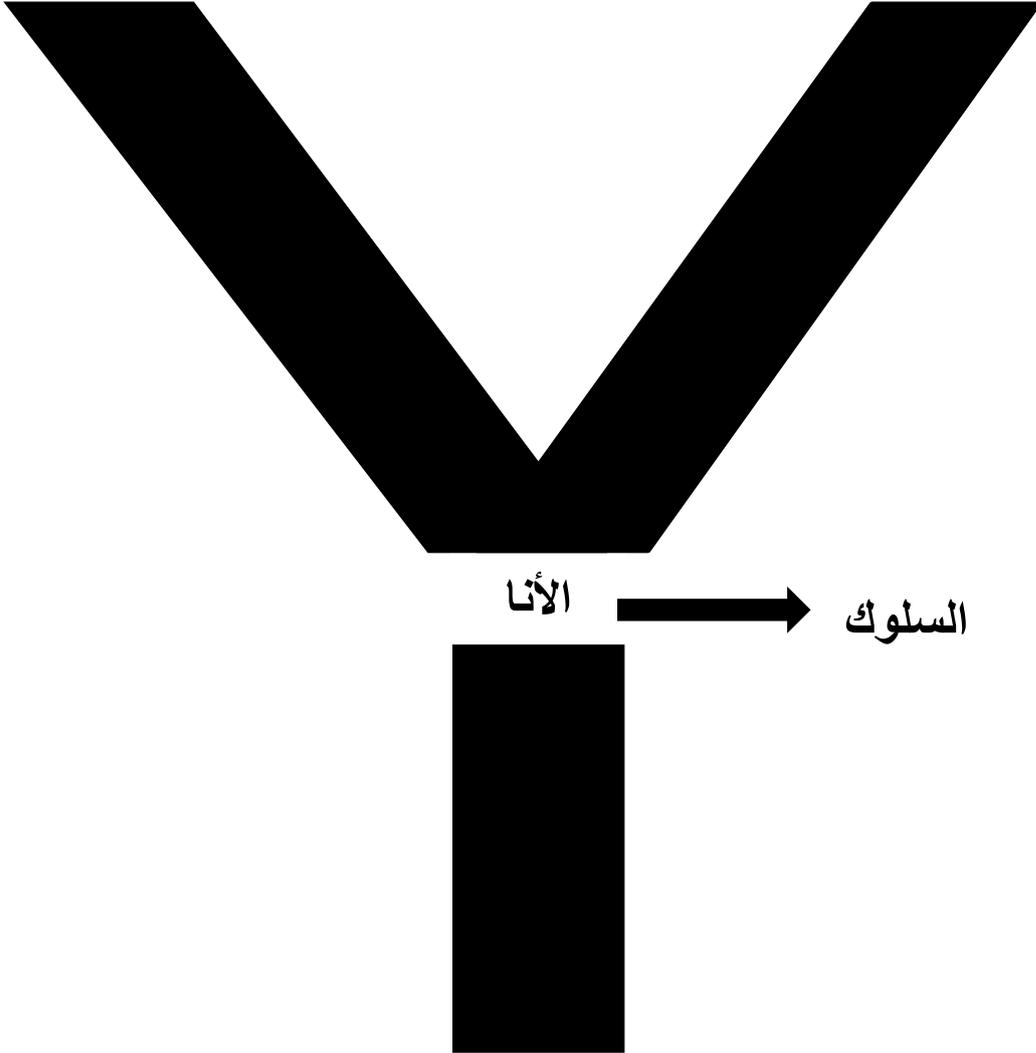
٠٢ الطاقة الانفعالية: وهي من فرضيات فرويد Freud القائلة بأن محتويات كل من ألهو والانا الأعلى محتويات لاشعورية ، وهي تظل محتفظة بطاقتها الانفعالية لاتعرف الهدوء والاستقرار ، فهي في حركة دائبة نشطة تنتظر فرصة الانطلاق والتحقق في العالم الخارجي ، لكون هذه المحتويات تملك القوة الفاعلة والقادرة على التأثير في حياة الفرد الشعورية ، وهذا يعني ان فرويد نظر الى الانسان على انه نظام من الطاقة وبنى نظرية ديناميكية قائمة على عملية تصريف الطاقة وتحويلها .

٠٣ الاتزان: افترض فرويد Freud أن (الأنا) تتجاذبه قوتان لاشعوريتان متناقضتان ، الأولى ؛ قوة الغرائز البدائية التي لاتخضع للمنطق ، وهما الأول البحث عن اللذة والإشباع المبالغ فيه دونما حدود تضبطه أو تنظمه . والثانية ؛ قوة

القيم والعادات والتقاليد ذات الطبيعة المثالية المغالية في البعد عن الواقع ، والطامحة إلى قيادة الحياة الشعورية للإنسان ، ومقابل هاتين القوتين هناك قوة ثالثة هي قوة المعطيات الواقعية التي يعيشها الفرد ممثلة في ضوابط المجتمع وشروط البيئة الطبيعية ، والمطلوب من الأنا أن يصل حالة من الاتزان بين هذه القوى كلها بحيث لا تطغى إحداها على الأخرى ، فيشبع مطالب ألهو ومطالب الأنا الأعلى في الحدود التي تسمح بها ضوابط المجتمع دون إفراط أو تفريط وكتحصيل حاصل إذا ما أردنا إيجاز العبارة في هذه المسئلة ، فان فرويد شبه الأنا بالعبد الذي عليه إرضاء ثلاثة أسياد كما موضح بالشكل (٣) فلكي تسلك الأنا سلوكا ما عليها إلا أن تراعي مطالب أسيادها ؛ فان كانت قوية نجحت وكان سلوكها سويا ، يدل على الصحة النفسية ، وان كانت ضعيفة فشلت ، وظهرت أعراض الاضطراب النفسي او العقلي .

مطالب الأنا الأعلى

مطالب الواقع



الشكل (٣) يوضح سلوك الأنا لإرضاء الهو والأنا الأعلى والواقع

٤٠ الميكانيزمات الدفاعية : اعتقد فرويد Freud أن الفرد وهو يحاول إشباع دوافعه الفطرية قد يلجأ إلى بعض الوسائل والطرق غير السوية ويتصور انه يشبع تلك الدوافع ولكنه إشباع زائف تتولد عنه الكثير من الاضطرابات النفسية ، ومن أمثلة هذه الوسائل التي سماها آليات أو ميكانيزمات دفاعية فمثلا نجد (التحويل) وهو استبدال موضوع الطاقة الانفعالية بموضوع آخر، فضلا عن أن الإسقاط هو رؤية العيوب الذاتية في الآخر ، أما النكوص فهو الارتداد إلى مسلكيات مرحلة نمو سابقة كأن يكون راشد فيرتد إلى مرحلة المراهقة أو مراهقا فيرتد إلى سلوكيات طفليه ، وكذلك اعتقد فرويد Freud بان التبرير كآلية دفاعية تعني ؛ تقديم الأعذار التي يعتقد الفرد أنها منطقية للسلوكيات المؤداة ، في حين اعتبر التقمص ؛ امتصاص صفات الآخرين وتقليد ما يؤدونه من مسلكيات ، أما الكبت ؛ فهو قذف الحوادث والذكريات المؤلمة في اللاشعور كمحاولة لاشعورية لنسيانها والتهرب من مواجهتها .

وهكذا فقد تعمق فرويد Freud في افتراضاته باحثا عن منشأ اضطرابات الصحة النفسية فحدد ثلاثة شروط جعلها رئيسة في خلق العصاب وهي ؛ الحرمان ، والتثبيت ، والصراع الناشئ عن الأنا ،بعدها أساسيات في تشكيل الشخصية ونموها فضلا عن أن هذا يعني أن نظرية التحليل النفسي قد رأت في كل إنسان قوى متعارضة ، تسبب الصراع الداخلي داخل الحواس الداخلية كالضمير(اللومة) والليبدو (الأمارة) وفي كل المشاعر والرغبات الإنسانية ، فقد يشعر الفرد بالحب والكره في الوقت ذاته تجاه إنسان ما ، بقدر ما يشعر بالرغبة بإملاء غريزة محرمة في المجتمع الذي يعيش فيه (كل ممنوع مرغوب) ، وهكذا تشكل هذه القوى المتعارضة ضغطا على الشخصية قد يؤدي إلى عدم السواء ، خاصة إذا كبتت الرغبات المحرمة لثناء الطفولة ، ثم لتضغط على المشاعر أثناء الرجولة بسلوك

لاسوي، ولقد أكد فرويد Freud أن طابع هذا الاضطراب طابعا جنسيا سواء كان صراعا جنسيا او نتيجة خبرات جنسية مبكرة .

وفي المجمل فقد أشارت الادبيات النفسية مؤكدة على أن التحليل النفسي الكلاسيكي كاتجاه والذي ابتكره فرويد (Freud) قد ركز نسقه النظري على النقاط الآتية :-

- أ . التأكيد على الحتمية البيولوجية للسلوك وإهمال العوامل الثقافية والاجتماعية .
- ب . إبراز دور الطفولة المبكرة من حياة الإنسان في توجيه الشخصية أما إلى السواء أو اللاسواء .
- ت . التأكيد على غريزة الجنس ودورها في نمو الشخصية أو الإصابة بالاضطرابات النفسية ، فضلا عن تأكيده على غريزة العدوان وفطريتها .
- ث . تقسيم العقل الإنساني إلى ما قبل الشعور والشعور واللاشعور ، وان الحياة اللاشعورية قد تكون سببا في نشأة العصاب .
- ج . انه طرح تصور في بناء الشخصية يتضمن ثلاثة أبعاد هي ؛ البعد الأول هو ألهو (Id) الذي يمثل مخزن الطاقة النفسية والغرائز ويسير وفق مبدأ اللذة أما البعد الثاني هو الأنا (Ego) الذي ينبثق في العالم الثاني من حياة الطفل ويسير على وفق مبدأ الواقع ، أما البعد الثالث فهو الأنا العليا (Super ego) ويمثل البعد الأخلاقي والقيمي في الشخصية ويكون دوره الأساسي في عمليات لكل رغبات البعد الأول ويصنع الأنا بصيغة أخلاقية .
- ح . قدم آليات دفاعية للشخصية هي التبرير والإسقاط والكبت والنكوص والتوحد والتسامي وغيرها .
- خ . قدم طريقة علاجية للمريض تعتمد على التداعي الحر وعلى تفسير الأحلام وعلى تحويل مشاعر الحب ، أو الكره ، لدى المريض نحو المحلل النفسي .

٥. تقويم نظرية التحليل النفسي .

لم تحظى نظرية نفسية بالنقد المتوالي من قبل علماء النفس الغربيون ، وأطراف غربية دينية أخرى ، فضلا عن غيرهم من المشتغلين في المجال النفسي والتربوي عربا كانوا أو مسلمين من غير العرب ، كما حظيت به نظرية فرويد Freud هذه ، فقد واجهت عددا كبيرا من الخصوم الذين حاولوا إثبات ضعف منطقتها وبطلان خلفيتها وما ترمي إليه من أبعاد نفسية لها أثرها السيئ على النشء أولا" وعلى الأسرة ثانيا" ، والبعض الآخر قرأها قراءة ناقدة تصحيحية بقصد تطويرها وجعلها أكثر مقبولة من حيث التسلسل المنطقي الذي عرضته النظرية لمكونات الشخصية وإشكالية منشأ الاضطراب النفسي فيها .

إن جماعة التحليل النفسي وان كانوا قد ولجوا إلى مكونات هذا العالم وكشفها للملا فأن ذلك قد أدى إلى حدوث ردود أفعال مختلفة في حينها ، فعلى صعيد علماء النفس فقد بدى الاختلاف واضحا فيما بينهم فمنهم من تحفظ إزاء هذه الأفكار الجديدة منتظرا ممارستها ونتائجها العملية ومدى صدقها في قياس ما تدعي فهمه وقياسه ، ومنهم من وقف ضد أفكارها وأتهمها بالخيالية والشطط والمروق على الأسس العلمية الرصينة لمنهج علم النفس العام ، ومن العلماء من وجه دعمه لهذه الجهود ودعا العلماء المناهضين إلى التريث قبل إصدار أحكامهم ضد هذه الجماعة ، هذا من جهة ومن جهة أخرى فان رجالات الكنيسة ، وذوي النفوذ المتحفظين قد أسهموا وأدلوهم مناهضين هذا الاتجاه الجديد في علم النفس ودعوا الناس إلى محاربتة وعدم تشجيعه باعتبار أنه منهج يدعو إلى التحلل الخلقي كما يدعو إلى انهيار الأسرة من حيث كشفه لبعض الأنشطة الجنسية في حياة الطفل ، والتي تعتبر مقدسة في نظرهم ومثال للطهارة والنقاء ، وان هذه الآراء التي جاء بها فرويد Freud وأعوانه تخدم العلائق السامية القائمة بين الأطفال والآباء ، كما

وتمزق هالة القدسية التي حاكتها البشرية والأديان السماوية منذ أقدم الأزمنة حول
براءة وشفافية الطفولة .

ان الغريب في هذا الأمر أن هذه النظرية لم ينتقدها علماء النفس والباحثون
كما هو الشائع أو المتعارف عليه في هذا الميدان فحسب وإنما انتقدها أعلام فكر
وأدباء ورجال دين لأنها كانت الأوسع انتشارا خصوصا عندما تبنى آراؤها
المشتغلون في مجال الفن والأدب والتمثيل والمسرح على المستوى العالمي أو
المحلي أي أنها تغلغت في أغلب مفاصل المجتمع ومؤسساته المدنية ، وشغلت
آراؤها الجامعات العالمية والعربية لمدة طويلة من الزمن ، مما شكل مناخا ايجابيا
لبعض الأوساط الأكاديمية بأن ترى لهذه النظرية مميزات ايجابية خفت من حدة
ما لحقها من سلبيات .

فمن **ايجابياتها** أن فرويد Freud اثبت بأدلة قوية وجود حياة نفسية
لاشعورية إلى جانب الحياة النفسية الشعورية ، وأوضح أن هناك تفكير لاشعوري ،
إدراك لاشعوري ، تذكر لاشعوري ورغبات ومخاوف لاشعورية لا يفتن الفرد إلى
وجودها لكنها مع ذلك تحرك سلوكه وتوجهه على غير علم أو إرادة منه ، وكثيرا
ما تكون سببا في ظهور اضطرابات نفسية أو عقلية لدى الفرد ، ولهذا ارتبط
التحليل النفسي بفرويد Freud ارتباطا وثيقا واعتبر الأب الروحي لعلم نفس
الأعماق ، باعتباره المكتشف الأول للحياة اللاشعورية للفرد ولكونه افرد للطاقة
الجنسية (الليبدو) أبوابا واسعة من كتبه ودراساته ، واتخذها مفتاحا يحل به مغلقات
الاضطرابات النفسية التي كان يعالجها ، حيث أثرى بدراساته الوفيرة أدبيات
التحليل النفسي ، وأثرى ميدان الصحة النفسية بما قدمه من افتراضات مازال الكثير
منها يتعامل معها حتى الآن على صعيد مستويات مختلفة ، كما أن له الفضل في
صياغة مبدأ التحليل النفسي وإبراز منهجه ، والانشقاقات التي حصلت داخل
مدرسته كما هو معروف لدى (ادلر Adler، يونج Juong) قد أغنت ذلك فعدلت

وألا أنت بعض النظرات والمفاهيم للمؤسس ، وحصر الدكتور علي زيعور فضل فرويد Freud بجملة من النقاط التي بينت فضله في الميدان النفسي والتربوي منها ؛ **كان** تأثيره عظيما على علم النفس ، إذ قلَّ أن توجد نظرية نفسانية من بعده لم تتأثر سلبا أو إيجابا بأبحاثه أو تأخذ شيئا منها ، لكونه **سلط** الأضواء على اللاوعي وأعطاه أهمية كانت مغبونة واطهر دوره وفاعليته في مجمل الحياة النفسانية ، كما يكمن فضله وأصالته في تفسيره للأحلام باستكشاف اللاوعي ، ولما كان التحليل النفسي قد **أوضح** أهمية السنوات الأولى في تكوين الشخصية ، وأهمية التجارب الأولى في العمر ، فمعنى ذلك انه ساهم مساهمة جلييلة في **تقديم** خدمات مهمة للمربين والأهل منبها إلى خطورة القمع اللفظ وما يؤدي إليه الكبت القاسي من ظهور العصاب واضطراب الشخصية ، ولا يمكن إغفال فضل المدرسة التحليلية عندما **نبهت** إلى أن أنواع التعبير (الرسوم ، التصوير ، الخطوط) والتي تعبر عن العقد الفردية وتكشف عن مكبوتات اللاوعي ، والميول الوجدانية، والأهداف الكامنة الموصدة .

ثانياً: واطسون (المدرسة السلوكية)

٠١ حياته

عدّ جون ب. واطسون J. Broadus Watson (١٨٧٨م - ١٩٥٩م) من ألمع رواد التجريب في الولايات المتحدة الأمريكية (USA)، بدأت حياته العلمية في ميدان علم نفس الحيوان حيث كانت أعمال لوب Lob ، وجينغس genngis ، وثورندايك Thorndike قد أثارت الاهتمام بدقتها وتطور تقنياتها ، وقد انتقل واطسون من علم نفس الحيوان إلى نفس الإنسان ونقل معه مناهج الميدان الأول ليطبّقها على الإنسان ، وقد طبّقها فعلاً تلك الدراسات التجريبية التي استخدمها علماء نفس الحيوان ونجحوا في ميدانهم ، اهتم واطسون Watson بعلم النفس المقارن ، بملاحظة الأولاد ، بالتشريط ، وكان بناءً "عبقرياً" لآلات عديدة ، انه القائل يوماً في تحدّ ؛ أعطوني اثني عشر طفلاً" من الأصحاء المكتملين وسوف أقوم بتربيتهم بطريقتي ، وأنا اضمن لكم أن اخذ أي واحد منهم عشوائياً وأدربه ليكون كما اختار له أخصائياً من أي نوع طبيياً ، أو محامياً ، أو فناناً ، أو كبير تجار ، أو حتى شحاذاً ولصاً ، بصرف النظر عن مواهبه واهتماماته وميوله وقدراته وكفاءته وجنسيّة أسلافه

٠٢ عصره

في عام ١٩١٢م استعملت كلمة (سلوك) Behaviorism لتدل على نظرية ترى أن علم النفس يقوم على ملاحظة السلوك ، ولقد أحدثت هذه المدرسة كم هائل من الأبحاث جرت في الولايات المتحدة وحسب الذهنية الأمريكية حيث الانتفاع من المختبرات الكثيرة القائمة ؛ وهذا ما جعل المدرسة السلوكية غنية من حيث كثرة التجارب والابحاث والدراسات في حقلها ، أما من حيث المدارس التي اشتهرت في هذا العصر فمع نهايات القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين برزت هذه المدرسة النفسية والتي شكلت مع مدرسة التحليل النفسي أوسع تيارين نفسيين وكانت أكثر التيارات النفسية المعاصرة ازدهارا ، وقد قسم مؤرخو المدارس

النفسية تاريخ المدرسة السلوكية والتي تمتد إلى عام ١٩٣٣م على وجه التقريب ،
والسلوكية الحديثة فيما بعد عام ١٩٣٣م وإلى الآن .

٣.٠ فلسفة واطسون Watson

إن اختلاف فلسفة المنظرين حول مادة علم النفس ومنهج بحثه من ملاحظة وتجريب كان بالتأكيد نتيجة لسبب، وهو تأثير علم النفس بالفلسفة والفلسفة والفيزياء وبكثير من الانجازات المهمة في علم الأحياء (كنظرية دارون) والفلك والرياضيات ، كل ذلك صاغ الحركة السلوكية كثورة قامت بوجه المدرستين التركيبية (الاستبطانية) والوظيفية ، حيث ظهرت الحركة السلوكية وكأنها من صنع إنسان واحد وليس فريق عمل وهو جون. ب. واطسون Broadus Watson. لودذلك لأنها وجدت في شخصه أقصى التعبير عن نفسها ، فقد تبلورت فلسفة واطسون Watson بالنظرة للإنسان واستجاباته من خلال تلمذته على يد انجل Angel (١٨٦٩-١٩٤٩) في شيكاغو ، حينما درس الفئران التي حاول ألا ينسب إليها صفة الشعور، وبما أن الفرد يستطيع أن يدرس قدرات الحيوانات وكفاءتها دونما حاجة لدراسة الشعور، فإذن لا حاجة لاعتبار الشعور ودراسته كمفهوم من مفاهيم علم النفس كما رأى واطسون Watson ، وهذا يعني أن علم النفس الذي يؤمن به واطسون (آلي) بكل ما في هذه الكلمة معنى ولما اكتشف بافلوف Pavlov الرجوع الشرطي جعله واطسون حجر الزاوية الذي أقام عليه مذهبه ، وان كل ما تقدم يعطي صورة واضحة تقول ؛ أن السلوكية تدرس كل جوانب علم النفس ماعدا الشعور ، فليس لكلمة (لماذا) why أهمية تذكر وإنما الأهمية القصوى لكلمة (كيف) How لأنها أساس فلسفة المدرسة السلوكية ، وهذا ما أكده الادبيات بان التيار السلوكي قد تأثر بفكر نيوتن (Newton) وتيار الفلسفة البراغماتية (Pragmatic) وكذلك الفلسفة الوضعية المنطقية ، وحتى أفكار دارون (Darwen) في الانتقاء الطبيعي ، ولهذا فان نظرة السلوكيين للشخصية بشكل عام والصحة النفسية بشكل

خاص أكدت على أنهما أمانتاجا في أي لحظة في مجرى الحياة المستمر أو منظومة مفتوحة للتغيير ، ولاشك أن مثل هذه النتائج الصادرة عن السلوكية هي جزء من الثورات التي قامت ضد النظام القائم في علم النفس وضد كلمة شعور ، استبطنان .

في عام ١٩١٢م أفاد واطسون Watson قائلا: "انتهى علماء النفس السلوكيون إلى الاعتقاد بأنهم لا يستطيعون الاشتغال بالأمر غير المحسوسة ولا الملموسة وعقدوا العزم على ترك الاشتغال بعلم النفس أو جعله علما طبيعيا" ومعنى هذا أن كل ما قام به فونت Wundt وغيره من التجريبيين في جهودهم لجعل السيكولوجية علما لا يعدو في نظر واطسون سوى استبدال كلمة (روح) التي كانت مستعملة في الفلسفة الوسيطة بكلمة (شعور) وهم في هذا استبدلوا كلمة مجردة بأخرى مجردة أيضا ، ولقد أكد ذلك واطسون عام ١٩١٢ في كتابه ؛ السلوك : مدخل إلى علم النفس المقارن بان علم النفس كما يراه السلوكي فرع موضوعي وتجريبي محض من فروع العلوم الطبيعية هدفه النظري التنبؤ عن السلوك وضبطه وليس الاستبطنان قسما هاما من طرائقه ، كما أن القيمة العلمية للمعلومات التي يحصل عليها ليست متوقفة على إمكان تفسيرها بالشعور ، ويبدو أن الوقت قد حان ليتخلص علم النفس من كل إشارة إلى الشعور ومن ملاحظة الحالات النفسية . . . إن من الممكن كتابة علم النفس دون الإشارة إلى (الشعور) و (الحالات النفسية) و (النفس) و (فحوى الخبرة) و (الإرادة) والتصوير إن من الممكن كتابته ضمن حدود (المثير والاستجابة) و (تكوين العادات) وما شابه ذلك حيث أن مفهوم الشعور عند واطسون Watson لا يقبل التعريف والاستعمال لأنه مجرد لفظ آخر (للروح) من ألفاظ الميتافيزيقيا القديمة ، حيث توصف لغة واطسون بأنها لغة المثير – الاستجابة ، وليس من شك أن صرامة واطسون

Watson ونبذه للشعور والاستبطان قد ضيق كثيرا من مجال علم النفس كما قالت به السلوكية .

٤٠ نظريته في الصحة النفسية

كانت الغاية من عرض حياة واطسون Watson وعصره هي لإيضاح اثر البيئة العلمية والفلسفية في حياة وتنشئة هذا المنظر الذي اثر بنظرياته وأرائه وتجاربه النفسية في المجتمعات الغربية على وجه العموم ، والمجتمع الأمريكي الذي ينتمي إليه خصوصا ، وأصبحت آراؤه ونظرياته بعد ذلك أشهر من نار على علم- كما يقال- في البلدان العربية وبالذات في الأوساط الأكاديمية الجامعية (أقسام علم النفس في كليات الآداب أو أقسام العلوم التربوية والنفسية في كليات التربية) ، وكما هو معروف فقد مرت المدرسة السلوكية بمرحلتين ؛ السلوكية التقليدية ، والسلوكية الحديثة وان استحداث الأخيرة ليس للرد على الأولى وإنما لتعديل بعض ماجاءت به التقليدية وتخفيف حدة صرامة نظرتها للإنسان فقد حاول السلوكيون المتأخرون أن يستكملوا نظرية واطسون Watson ويوسعوا من نطاق مفهومها ويردوا على أوجه النقد المختلفة من علماء وفلاسفة كبار .

لقد تجنبنا المقارنة والمفاضلة بين المدرستين وقدمنا موضوع الصحة النفسية حسب نظرية واطسون Watson ومدرسته المسماة بالواطسونية أو السلوكية التقليدية كمنظر لها ونظير لفلسفة الإسلام السالف ذكرهم للأسباب الآتية:

أ . تعد المدرسة السلوكية التقليدية هي المدرسة الأم لكل المشتغلين ضمن مجالها ونظرياتها سواء كانوا من المتقدمين أم من المتأخرين .

ب . لواطسون Watson الإسهام الأكبر في صنع اتجاه علمي جديد وخلق مدرسة كبرى في علم النفس .

ت . تعد المدرسة السلوكية التقليدية (الواطسونية) ، هي تماما نقيض مدرسة التحليل النفسي من حيث رؤيتها إلى الإنسان وطبيعته ، وكما يقال بالأضداد تعرف الأشياء

٥٠ مسلمات نظريته

تم التركيز بشكل خاص في مسلمات نظرية المدرسة السلوكية الواطسونية على أطروحاتها ذات العلاقة بالصحة النفسية باعتبارها جزء من موضوع الدراسة والنظرية السلوكية تقوم على أساس عدد من المسلمات التي يمكن إيجاز أهمها :-

أ٠ ان علم النفس هو علم السلوك ، والسلوك هو جميع أوجه نشاط الفرد التي يقوم بها والتي يمكن ملاحظتها ، وهو علم موضوعي يعتمد على البيانات التجريبية والدلالات التي يمكن ملاحظتها .

ب٠ ان هذه النظرية تسلم بالتحتمية النفسية وتعني بمجملها إخضاع السلوك الإنساني لمعادلة (مثير - استجابة) بمعنى ؛ أن المثير عندما يقع على الفرد لا بد وان تتأدى استجابة حتما وهذه الاستجابة يمكن ضبطها والتحكم فيها والتنبؤ بها تماما كأى ظاهرة طبيعية .

ت٠ ان السلوكيات الإنسانية كلها قد عدت سلوكيات متعلمة سواء كانت هذه السلوكيات سوية أو مرضية ، ووصولاً إلى المبدأ الثالث فهو السلوك الشرطي والذي يتم باقتران المثير الشرطي بالمثير الطبيعي وتكرار هذا الاقتران حتى يصبح الكائن الحي قادراً على أداء الاستجابة الطبيعية في حضور المثير الشرطي والشكل أدناه يوضحها :

المثير ← إفراز للعاب

مثير طبيعي ← (استجابة طبيعية)

نقرن تقديم الطعام بصوت الجرس فتتأدى الاستجابة نفسها :

طعام ← إفراز لعاب

صوت الجرس

نغيب الطعام الذي هو المثير الطبيعي ونبقي على الجرس الذي هو المثير الشرطي
فتتادى نفس الاستجابة ، وعندئذ تعرف باسم الاستجابة الشرطية :

صوت الجرس ————— إفراز لعاب
(مثير شرطي) (استجابة شرطية)

على ضوء هذه المبادئ الثلاثة للسلوكية التقليدية وضعت افتراضات تفسر
نشوء الاضطرابات النفسية لدى الفرد والافتراضات كما يأتي:-

الافتراض الأول : إن فشل الفرد في تعلم سلوكيات تمكنه من التوافق الناجح مع
نفسه ومجتمعه ، يعتبر عاملا أساسيا في اختلال صحته النفسية .

الافتراض الثاني : إن نجاح الفرد في اكتساب سلوكيات ضارة سواء كان الضرر
واقع على الفرد نفسه أو على مجتمعه فإنه لن يتوافق بالشكل المطلوب لا مع نفسه
ولا مع بيئته .

الافتراض الثالث : انه إذا تعرض الفرد إلى مثير ما بحيث يستثير لديه توقع حدوث
استجابتين متناقضتين يخلق لديه حالة من القلق العام تؤثر سلبا على حالته النفسية
وينشا هذا الوضع على النحو الآتي :-

الموقف الأول : الطعام + صوت الجرس ————— إفراز اللعاب (اثر موجب = اللذة)

الموقف الثاني : صدمة كهربية + صوت الجرس ————— الصراخ (اثر سالب + الألم)

الموقف الثالث : صوت الجرس ————— إفراز اللعاب (اللذة) أو الصراخ (الألم)

إن ما تقدم قد أشار إلى أن اختلال صحة الفرد النفسية هي نتيجة حتمية
لخلل ما في عملية التعلم ، ولما كانت هذه العملية يقوم بها في الغالب الكبار
ويوجهونها نحو الصغار ، فإن هؤلاء الكبار يتحملون المسؤولية الأولى في خلق
الاضطرابات النفسية لدى الفرد .

٤٠ إن هذه النظرية قد أكدت على أن العوامل البيئية هي العوامل الرئيسية التي
تعمل على تكوين شخصية الفرد ولهذا عرف السلوكيون بالبيئيين لتميزهم عن

الوراثيين ، وقد كان محور اهتمام السلوكيين بعملية التعلم وإكساب الفرد عادات معينة .

وفي المجمل فإن هناك سبعة نقاط وضّحت فيها أفكار واطسن Watson زعيم المدرسة السلوكية والذي وصف سلوكيتها بالعلم الموضوعي التجريبي الذي هدفه التنبؤ بالسلوك والسيطرة عليه ، ومن أفكاره:-

- أ . إمكانية تجزئة السلوك إلى وحدات بسيطة من المثيرات والاستجابات .
- ب . التركيز في البحوث العلمية على ما يمكن أن يفعله الفرد في موقف معين وفي كيفية خروج استجابة معينة من مثير معين .
- ت . التأكيد على أن السلوك هو وظيفة الكائن كله .
- ث . التأكيد على استخدام الملاحظة المقصودة ورفض استخدام الاستبطان في المنهج العلمي .

ج . الاقتصاد في البحث على المثيرات الخارجية .

ح . احل قانون التكرار وقانون الحداثة بدلا من قانون الأثر ، فالتكرار هو المسؤول عن تدعيم الرابطة بين المثير والاستجابة ، أما الحداثة فهي الاستجابة فلها الأسبقية في الظهور عن غيرها .

خ . اعتبار الاستجابة الشرطية وحدة السلوك والأساس الذي يفسر في ضوءه اكتساب العادات .

٦٠٦ تقويم النظرية السلوكية

تعد السلوكية Behaviorism مذهب من مذاهب علم النفس ، وتسمية تطلق على منحى نظري في السايكولوجيا ، شدد على أهمية الدراسة الموضوعية للاستجابات الفعلية أو على دراسة السلوك الظاهر مفترضة أن هناك أساسا فيزيولوجيا لكل سلوك ، أكد هذا المذهب على الاقتران الشرطي باعتباره قاعدة للتعلم ، اعتمد الطرق التجريبية ومبادئ المعاينة ، واسترشد بدراسة السلوك الحيواني في ظل ظروف مقررة ، وصلت في صيغتها المتطرفة الى رفض الوعي والعمليات الواعية .

إن تأثير المدرسة السلوكية لازال قويا جدا على علم النفس اليوم ، وهي منذ مؤسسها واطسون Watson قد أنكرت إمكان ترسيخ هذا العلم على الاستبطان أو متابعة تدفقات الإدراك ، لان كل علم هو بالنتيجة ظاهرياتي ، وبالتالي فان علم النفس لا يخرج عن هذه القاعدة ، وبعبارة أخرى لا احد يستطيع رؤية الحواس الداخلية إلا من خلال ما تعكسه من سلوك إنساني أو فعل سواء كان إنساني أو حيواني ، وفضل السلوكية على علم النفس كبير فإنها وان ساعدت على دفع هذا العلم دفعات ايجابية إلى الأمام ، حتى الأخطاء التي وقعت فيها كانت نافعة وموجهة (بطريقة سلبية) أنها بنت عقلية ومناهج معينة إلا أنها كانت عرضة للنقد اللاذع ، فعدها البعض أنها كانت مصابة بخوف مرضي(فوبيا) من كل ما هو روحي ، بل ومما هو ذهني وداخلي ، فضلا عن أن شططهم بتفسير الحالات النفسية كلها على أنها ظواهر عضوية واستجابات عضوية ، جعلت واطسون مضطرا إلى أن يفسر التفكير على انه عبارة عن كلام داخلي ، وإذ الكلام يحدث حركة في الحلق ، فمعنى هذا أن على السلوكي أن يقيس حركات الحلق بالطبع ، وبالنتيجة لم تنفع آلة قياس هذه الحركات وتسجيلها ولم تكن ذات أهمية في ميدان علم النفس ولا ذات نتائج سديدة ، ولم يكتفي نقاد النظرية بهذه الملاحظات بل عزوا

علم السلوكية إلى انه مجرد نقل المذهب الترابطي للمعاني إلى مفردتين هما مثير _
استجابة ، فعدوه مذهب ميكانيكي يدور حول ثلاثة مفاهيم (مثير ، استجابة ، جسم
عضوي) ومعنى هذا أنها محاولة لجعل علم النفس علما طبيعيا ، لكنه صار علما
ألغى النفس في الإنسان، بعد أن الغوا وعيه ، إنهم الغوا اشد ما في الإنسان إنسانية
وصميمية؛ انتزعوا منه روحه .

ثالثا : كارل روجرز (المذهب الانساني) القوة الثالثة

٠١ حياته

كارل روجرز Carl Rogers أميركي من مواليد ١٩٠٢ م من ولاية إلينوي الأمريكية ، وانه تربى في عائلة صارمة أخلاقيا ودينيا فوالداه متمزمان في نظرتهم الدينية والأخلاقية وهما يؤمنان بان لاشيء يمكن الحصول عليه إلا بحب العمل والجدية فيه ، واعتبرا العمل خير وسيلة علاجية للضجر والملل ، فغرسا في نفس طفلهما حب العمل والمثابرة ، حيث لم تكن لروجر Rogers حياة اجتماعية خارج حدود البيت ولهذا كان في طفولته حساسا وخجولا وغير اجتماعي يفضل أن يعيش مع الكتب ومع عالم أحلامه ، اشتغل في الزراعة وتربية الحيوانات في مزرعة والده منذ أن كان عمره اثنتا عشر عاما ، وقد تعلم الأساليب التجريبية في العلم عندما اكتشف أثناء تجواله نوعا من العث حيث كان يقوم بالتجوال في الغابات ، فقام بتربيته ومقارنته بأنواع أخرى ، وهذا الاهتمام قاده إلى أن يدخل جامعة وسكنسن لدراسة الزراعة ، وبعد اقل من سنتين تحول إلى دراسة الدين بفعل تأثيرات تنشئته الاجتماعية ، فالتحق بالمعهد اللاهوتي الوندوي في نيويورك الذي كان له اتجاه ليبرالي في الدين ، إلا انه قرر ترك دراسة الدين نهائيا على خلفية زيارته إلى الصين مع وفد طلابي وللسببين الآتيين:

٠١ انه اطلع على عقائد دينية مختلفة وشهد كيف أن البغضاء كانت شديدة بين

الألمان والفرنسيين رغم أنهم من دين واحد .

٠٢ انه لا يتفق مع الحركة البروتستانتية التي تؤكد على ان الكتاب المقدس معصوم

من الخطأ .

وهذان السببان أنتجا القرار الذي حل الصراع النفسي لديه ، فاخبر والداه بأنه قد حرر نفسه من اسلوبهما في التفكير ، وانه يجب على الفرد أن يعتمد أساسا على

خبرته الشخصية ؛ وهي فكرة مثلت حجر الزاوية في نظريته في الشخصية .

٠٢ عصره

ولد كارل روجرز في بداية القرن العشرين كما مر أنفا ، وقد شهد بعد ذلك تزايد عدد المشتغلين بعلم النفس بأضعاف مضاعفة أدت إلى الزيادة في نسبة البحوث ، فكان تأثير ذلك على علم النفس انه أصبح ذو قدم راسخة ، يفاخر بعلميته بين العلوم السائدة في ذلك الوقت ، خصوصا عندما زادت صلاته بالعلوم الإنسانية الأخرى كالاقتصاد مثلا ، كما اتصل بالعلوم الأخرى لاسيما الرياضيات وبصورة اخص الإحصاء وبالتطبيقات الإحصائية ، وعلى اثر ذلك زادت تطبيقات علم النفس في الميادين التي يعمل بها كميدان ؛ التربية ، الجريمة ، المعمل ، الحرب ، التجارة ، الطب ، والقانون ، فجاءت بعد ذلك مرحلة الثورات العلمية والثورات النفسية ، ولم يشهد روجرز ذلك فقط بل شهد الثورات على الثورات ، كالثورات التي قامت ضد التحليل النفسي والسلوكية واتهامهما بالتقليدية ، ففي خضم تلك الثورات العلمية والنفسية تبلورت شخصيته .

٠٣ فلسفة روجرز (الظواهرية)

تعود جذور الفلسفة الظواهرية التي اعتنقها روجرز Rogers إلى الفيلسوف هوسريل Hosrel (١٨٣٨-١٩١٧) الألماني الأصل الذي كان تلميذا لبرنتانو Brentano إذ تتبع محاضراته في فيينا ، وبعدها انقلب إلى دراسة الفلسفة بعد أن كان يعلم الرياضيات وذلك بفعل قراءاته ل(كانت) Kant وبفضل برنتانو Brentano ، درس هذه الفلسفة التي اخترعها في أوائل القرن العشرين ، وقد اضطهده النازيون ومات في المنفى في سويسرا واستطاع تلاميذه نقل مخطوطاته ومكتبته إلى بلجيكا خفية ، وتلاميذه هم الذين خلقوا علم نفس الشكل ، وإذا تعمقنا أكثر في هذا المصطلح من الناحية الفلسفية لتبيان جذورها فان هذه الكلمة (الظواهرية) أو الظاهراتية (فينومينولوجيا) Phenomenology فإنها تعني دراسة أو علم الظواهر أي دراسة ذاك الذي يبدو للوعي ، ذاك المعطى ، فالمقصود إذن

الكشف عن هذا المعطى أو هذا الشيء ذاته الذي نفكر فيه أو نتحدث عنه متجنبين في كل ذلك اللجوء إلى فرضيات ، إلى ثقافة قبلوية ، ولا لجوء إلى أسبقيات قط (بل الوصف) ، فمثلا ؛ كيف تشرح لون الزهرة الأحمر ، هنا الشرح للعلوم الطبيعية لا للعلوم الإنسانية ، فالظاهرة هي الطريقة أو الوجه الذي بموجبه يكون الموضوع الذي نتأمله ، أو الشيء معطى للوعي ، فلون الزهرة كما يبدو للوعي هو الظاهرة التي ينبغي وصفها لا وصف الاحمرار وصفا فيزيائيا أو طبيعيا ، فالظواهريون نادوا بالعودة إلى الأشياء لان الأشياء عندهم تشمل الأفكار والعواطف (كعالم سيكولوجي) والعالم الخارجي أيضا ، وهكذا فهي تأمل منطقي ولم تحب أن تكون بناءات مذهبية أو تركيبات ميتافيزيقية ، أما من الناحية النفسية فان الظاهراتية أو الظواهرية هي أسلوب في علم النفس يركز على الكيفية التي يدرك بها الشخص ويعبر عن ذاته وعالمه .

إن مما تقدم يشير إلى أن المذهب الإنساني يستقي فلسفته من فلسفة الألماني هوسرل Husserl وليس هي من فكر المذهب الإنساني ، وطبقا للموقف الظاهري الذي طرحه روجرز 'Rogers' منذ عام (١٩٤٧) فان الفرد يدرك العالم بطريقة متفردة ، وتشكل هذه المدركات المجال الظاهري Phenomenal field للفرد وهذا يعني أن الفرد يستجيب للبيئة كما يدركها هو ، وهذه البيئة قد تتطابق وقد لا تتطابق مع تعاريف التجريبيين لها ، أو مع الواقع الموضوعي، والمجال الظاهري للفرد طبقا لروجرز ، يشمل كلا من المدركات الشعورية وغير الشعورية ، تلك التي يكون الفرد عارفا بها ن وتلك التي لا يكون عارفا بها ولكن المحددات الأكثر أهمية للسلوك ، وخاصة بالنسبة للناس الأسوياء هي المدركات الشعورية ، هذا يعني أن العالم بالنسبة لروجرز Rogers عالم ذاتي ظاهري ، وفكرة أن الإدراك شيء ذاتي هي فكرة قديمة وليست من مبتكرات روجرز قطعا ، إلا أن تأكيده عليها صاغه بالشكل الذي يريد أن يقول فيه بان لكل فرد منا عالمه ،

أو واقعه الخاص جدا به وانه لايمكن فهم هذا العالم الخاص بالفرد إلا بالقدر الذي يسمح هو لنا بذلك .

٥ . نظريته في الصحة النفسية

ترتبط الكائنات البشرية باستمرار بمعاني المعلومات المأخوذة من الحواس ، ولما كان الناس يعرفون فقط ما يدركون ، فان ادراكات كل فرد هي التي تؤسس واقعه ، ومن المحتم أن يواجه جميع الأفراد واقعا مختلفا إلى حد ما ، ويركز أصحاب النظريات الظاهرانية Phenomenological في محاولة فهم الذوات ووجهات نظرها الفريدة في الحياة ، أما الدوافع الفسيولوجية فهي قليلة الأهمية ، كما اعتمد أصحاب النظريات الظاهرانية على الملاحظات الإكلينيكية ، خاصة تقارير الذات لان علماء النفس الإنساني يميلون إلى تبني هذا المدخل للشخصية الإنسانية ، حيث كانت محاولات روجرز Rogers مستمرة لمساعدة الناس المشكلين للتغلب على مشكلات الحياة ، خصوصا عندما تطورت أفكاره ببطيء من الخبرات العيادية .

وإذا اعتبر المذهب الإنساني مذهباً حديثاً في علم النفس فان لذلك بواذر قد ظهرت في الخمسينات واستمرت في الستينات من القرن العشرين ولان نموه وتبلوره مستمر كي يحتل مركز القوة الثالثة في علم النفس إذ يعتبره الكثيرون بمثابة القوة الثالثة بجانب القوتين الأولى والثانية والمقصود بهما التحليل النفسي والسلوكية ويمثل هذا المذهب روجرز ومازلو Rogers & Maslow، وينضم إليهم عدد كبير من الكتاب الذين عرفوا في مرحلة ما بأنهم يتبعون المنحى الوجودي ، وصار من الصعب التمييز بين الفريقين لان كل منهما يعمل على بلورة هذا المذهب ،وعلى أية حال فقد أكد روجرز Rogers وهو من مشاهير المنظور الإنساني على أن الخبرة الحاضرة للفرد هي كما يدركها أو يمر بها الفرد نفسه وليس كما يدركها الآخرون ، أن الصحة النفسية من وجهة نظر هذا المنظور تتحقق متى ما حقق

الإنسان ذاته ، وان الجهاد في سبيل الذات هو الدافع الإنساني الرئيس الذي يدفعه لتحقيقها ، علما أن الأفراد يختلفون في مستويات صحتهم النفسية تبعا لاختلاف ما يصلون إليه من مستويات في تحقيق إنسانيتهم ، كما أنهم يختلفون أيضا في مستوى تحقيق ذواتهم •

وعليه فان أي خلل في الذات يمكن أن يؤخذ على انه من علامات سوء الصحة النفسية ، أما من حيث منشأ اضطرابها ، فهو يحدث عندما يمنع الكائن الحي من تمثيل خبراته الحسية ، ومن بلوغها إلى مرتبة الوعي والحيلولة دون تحول المثيرات إلى صور رمزية ، والى عدم انتظامها في بناء الذات الأمر الذي يؤدي إلى توتر نفسي ، أما إذا أصبح مفهوم الذات في وضع يسمح لكل الخبرات الحسية للكائن الحي ان تصبح ممثلة في مستوى رمزي وفي علاقة ثابتة ومتسقة معها ، فان ذلك يمثل حقيقة الصحة النفسية للفرد ، وهذا يعني أن روجرز Rogers قد عرّف أنواع السلوك الإنساني إلى دافع واحد هو تحقيق الذات على أساس أن هذا السلوك يعمل بشكل كلي موحد وإيجابي نحو تحقيق ذلك الدافع •

لقد حدد روجرز Rogers حدد سمات الشخصية التي تتصف بانخفاض في مستوى الصحة النفسية ؛ كالغربة ، عدم اتساق السلوك ، القلق ، استخدام آليات (ميكانزمات) الدفاع ، التصلب والجمود وإدراكه للخبرات بشكل جيد

ومما تقدم فان الفرد المتمتع بالصحة النفسية من وجهة نظر المذهب الإنساني هو (الشخص الذي يعمل بكل طاقاته ، ويستفيد من كل إمكاناته ، مقبل على الحياة ، متفتح الذهن ، راض عما في حياته ، يسعى إلى تطوير نفسه وتنميتها ، يقول ما يعتقد انه صواب ، ولما كانت الذات هي المحور الذي تدور حوله كل المتغيرات والتي تشكل حجر الزاوية في كل الذي جاء به روجرز Rogers فان ذلك ألزم الباحث أن يبين مسلمات هذه النظرية التي جعلت من الذات محورها في النظر إلى الأشياء لان الأشياء عند علماء النفس الإنسانيين تشمل ؛ الأفكار والعواطف

التي تمثل العالم السيكولوجي والعالم الخارجي أيضا كما مر آنفا ، والمسلمات هي كما يأتي :-

٥. مسلّمات النظرية

أسس هذا المذهب كرد فعل لأطروحات كل من التحليل النفسي والسلوكية ، فهو يرفض كون الإنسان جهاز طاقة معقد يبحث عن حالة اتزان من حيث توزيع الطاقة على أجزائه المختلفة ، فطبقا للتصور الفرويدي فإن أي ازدياد في منسوب الطاقة بأي جزء فيه يؤدي إلى خلل هذا الاتزان ومن ثم يتحتم على هذا الجهاز القيام بنشاط معين حتى يعود إلى حالة الاتزان ، كما رفض هذا المذهب التصور السلوكي التقليدي الذي صير الإنسان جهازا آليا إذا أثير أي جزء منه تحتم عليه أن يقوم بسلوك معين ؛ وانه يمكن تفسير هذا السلوك والتنبؤ به تكوين هذا الجهاز وما يتعرض له من مثيرات ، ولما كانت النظرية معتنقة للفلسفة الظواهرية، فقد صاغت المفاهيم التي صدرت عن إيمانها بذلك والتي أدت إلى أن يبتكر روجرز العلاج الذي اشتهر والتصق باسمه وهو العلاج المرتكز على المراجع أو العميل (Client) ويستند عليها ، على فرض ان لدى الفرد القدرة على تغيير وتطوير شخصيته ، وان مهمة المعالج النفسي تسهيل مهمة هذا التغيير ، وهذه المفاهيم هي:-

أ . إن الأشخاص مخلوقات واعية وعاقلة يحكمها الإدراك الواعي .

ب . إن البشر لايتحتم عليهم الصراع مع أنفسهم أو محيطهم ، كما أنهم ليسوا عبيدا للأحداث والقوة البيولوجية .

ت . إن فهم الشخص يتم من خلال وجهة نظره الخاصة أو من خلال تجاربه الذاتية .

ث . إن إدراك الشخص للواقع قد يتطابق موضوعيا وقد لايتطابق مع ذلك الواقع .

ج . إن لدى الإنسان نزعة لتحقيق ذاته وإثرائها .

وأدناه التصورات أو المسلمات التي تخص الإنسان في هذا المذهب :-

٠١ **الإنسان خير بالفطرة** ؛ إن ما يبدو علي الإنسان أحيانا من عدوانية وأنانية ماهو إلا نتيجة للصعوبات والتحديات التي يواجهها حيث تتعدد أسباب الحياة وأساليبيها فضلا عن مايلقاه من احباطات مختلفة أو إنكار لحقه في أن يحقق إنسانيته ، وبالرغم من العقبات والصراعات التي تواجهه إلا انه قادر على أن يفكر ويقاوم أو على الأقل يحاول أن يتغلب على ما يواجهه من مشقات ، بمعنى أن ظهور علامات الاضطراب على هذا الإنسان من عدائية وأنانية هي نتيجة لسبب ، أي نتيجة لصدمة من أن يحقق إنسانيته ، وبالمقابل فان الصحة النفسية في هذا المذهب وان كانت تعني تحقيق الفرد لإنسانيته إلا أن ذلك لا يتم إلا بالإيمان بممارسته لحرية يدرك مداها وحدودها ويتحمل مسؤولياتها ويكون قادرا على التعاطف مع الآخرين ومبادلتهم المحبة وان يكون ملتزما بقيم عليا مثل الحق والخير والجمال ، وان يشبع حاجاته الفسيولوجية والنفسية إشباعا متزنا .

٠٢ **الإنسان حر في حدود معينة** : ومعنى ذلك انه حر في اتخاذ مايراه من قرارات واختيار مايناسبه من أوجه النشاط ، وقد تقف عوائق معينة في طريق ممارسته لتلك الحرية إلا أن ذلك لا يمنع الفرد من أن يمارس حقه في الاختيار مادام يملك الإرادة لذلك ، ولاشك أن عودة مبدأ الإرادة في السلوكات الإنسانية يهز بعنف مبدأ الحتمية النفسية أو الحتمية السلوكية التي سادت التيارات النفسية الوضعية بشكل عام ، وهو يلتقي مع مبدأ (الوعي) الذي نادى به السلوكية المحدثثة والذي بموجبه أعطى الإنسان دور أساسي في إحداث الاستجابة التي يراها مناسبة للمثيرات التي يتلقاها .

٠٣ **الإنسان كائن حي في نشاط مستمر** : إن السلوك الإنساني في نمو مستمر وهو دائما يرنو إلى الأفضل ، والأفضل هو أن يحقق إنسانيته ، وتختلف هذه المسلمة عن تلك التي يقوم عليها علم النفس التقليدي الذي يعتبر الإنسان بمثابة الكائن الحي الذي لا يستجيب إلا إذا واجه مثيرا ، وحيث يعتبر مايقوم به من نشاط بمثابة رد فعل

لما يلقاه من مثيرات ، وبعبارة أخرى ان ذلك يعني أن السلوك الإنساني هنا يرنو دائما للأفضل ، والأفضل هو أن يحقق الفرد إنسانيته ، أي أن يحقق ذاته ، متمثلا ذلك بالقدرة على الانجاز ، القدرة على الابتكار ، القدرة على المبادأة ، (أي أن يشعر بان هناك معنى لوجوده) ، وهذا يعطي تصور واضح بان الإنسان ليس هو الكائن الحي الذي لا يستجيب إلا إذا واجه مثيرا فقط ، وان سلوكه ما هو إلا رد فعل لما يلقاه من مثيرات .

٤٠ الخبرة : لما كانت الخبرة لدى روجرز Rogers هي السلطة العليا وان معيار الصدق عنده هو تجاربه الخاصة فذلك لان الخبرة شكلت مفهوما مركزيا في نظريته على أساس أن المجال الظاهري يعني مجموعة الخبرات أو المدركات التي يعرفها الشخص نفسه وتشكل عالمه الذاتي الخاص به ، وقد عدها السلوك الموجه للفرد وأنها بالغة الأهمية في تشكيل الشخصية ، وقد أكد على أن خبرات الإنسان هي مدركاته الشعورية التي حولها إلى صور رمزية ، وهذه المدركات التي تحولت إلى صور رمزية أو قابلة لان تتحول إلى ذلك هي المحددات الجوهرية لسلوك الناس الأسوياء ، وإذا حصل تشويه في الترميز فتأخذ بعض الخبرات صوراً رمزية مشوّهة يتصرف الفرد بسببها تصرفا غير مناسب لكنه يحاول عادة التحقق من رموز خبراته بمقابلته بالواقع ، أي انه يجري عليها اختبارا للواقع ليتأكد من مطابقتها للعالم الخارجي، ومجمل القول أن المذهب الإنساني الذي يؤكد على دراسة الخبرة الحاضرة للفرد كما يدركها من يمر بها وليس كما يدركها الآخرون ، وعليه فان الكيفية التي يدرك بها الفرد خبراته الحالية هي التي تقرر سلوكاته ، سوية كانت أو مرضية .

٦٠٦ تقويم نظرية الذات

كما هو معروف فان المقصود بالتقويم هو عملية إصدار حكم على قيمة الشيء أو الظاهرة على أساس المقارنة بين واقع الشيء ومعيار معين .

أن نظرية الذات لروجرز Rogers تتميز بحضورها الفاعل ونصيبيها الكبير في الميادين التطبيقية ، وبخاصة في ميدان التربية والحياة العائلية والقيادة والعلاج النفسي ، ففتحت ونمت ميدان العلاج النفسي بإجراء بحوث منهجية منظمة ، ومن المهم ذكر إسهامات صاحب هذه النظرية ؛ فهو الذي طوّر أسلوبا في الإرشاد النفسي كان وما زال تأثيره كبيرا في هذا الميدان وكذا الحال فانه ركز بشدة على الاهتمام نظريا وعمليا على فهم طبيعة الذات وأثار بحوثا كثيرة فيه، وتتجلى أهمية نظرية روجرز Rogers عن الذات أنها لخصت مبادئ المذهب الإنساني فهو رأى أن كل فرد يعيش في عالم خاص من خبراته ، وان المحافظة على الذات وتنميتها وتحقيقها هي أقوى القوى المحركة لسلوكات الفرد ، وان هذا الفرد يستجيب في المواقف في ضوء إدراكه الخاص لذاته ولعالمه ، وقد يستجيب الفرد لما يدركه من تهديد لذاته بحيل دفاعية متعددة كتضييق المجال الإدراكي أو الجمود في الإدراك أو غير ذلك من أساليب لحماية الذات .

إن روجرز Rogers ، وان حاول وبذل جهودا كبيرة لتكوين نظرية تتسم بالدقة والقابلية على الاختبار إلا أن منتقديه أمثال (Ryckman، ١٩٧٨، Macleod، ٦٤، Diqqory، ٩٦٦، Pervin، ١٩٨٠، وجهوا له النقد لإخفاقه في دقة التعبير وخاصة فيما يتعلق بالذات ودافع تحقيقها ، ولما وضعت نظرية روجرز الذات في موقع مركزي من نظرية الشخصية ، فقد واجهت بذلك صعوبة في التعبير بدقة بالغة عن مفهومها ، فمن الأسئلة التي أثرت أمام الذات . . . هل منشؤها نفسي ، بيولوجي ، أم طبيعي ؟ وماهي القوى الدافعة لها . . . هل هي فيزيائية ، طبيعية ، نفسية ، بيولوجية ؟ وعندما أوضح روجرز Rogers بان الذات وراثية

وتعتمد على أَل (DNA) وال (RNA) فانه جعلها احتمالات قد تتحقق وقد لا تتحقق وافتراضات كهذه بحاجة إلى أدلة أكيدة ما تزال غير واضحة وغير متوفرة .

أما المآخذ التي توالى عليها فكان بسبب التعريف الذي جعل فيه روجرز Rogers الصحة النفسية مرتبطة شرطيا بتحقيق الذات حينما عرف الفرد المتمتع بالصحة النفسية بأنه ؛ **(شخص يعمل بكل طاقاته ، ويستفيد من كل إمكاناته مقبل على الحياة ، متفتح الذهن ، راض عما في حياته ، يسعى التي تطوير نفسه وتميئها يقول ما يعتقد انه صواب)** ، وبسبب هذا التعريف فان روجرز Rogers فتح الباب واسعا أمام نقدها من قبل علماء النفس الذين اعتبروا أن هذا التعريف ليس مرادفا للصحة النفسية ولا يدل عليها في كل الأحوال وفي كل المجتمعات ومن هذه المآخذ :-

٠١ تحديد تحقيق الذات بامتياز الأداء والتفوق في الانجاز والإبداع ، وهذا هدفا مثاليا لا يصل إليه إلا العباقرة والأذكىاء جدا مما يجعل الناس طبقا لهذا التعريف غير أصحاب نفسيا إلا القلة القليلة منهم ، مع العلم أن بعض الأشخاص كانوا متفوقين في الانجاز إلا أنهم كانوا غير أصحاب نفسيا .

٠٢ شعور بعض المجرمين بتحقيق الذات في انجاز أعمال إجرامية ، يبدعون فيها ، ويخلصون في أدائها ، ويشعرون بلذة النجاح ونشوة الانتصار ، ومع هذا ليسوا سعداء لأنهم سعادتهم مؤقتة تزول بمجرد الحصول عليها .

٠٣ لا يأتي إشباع الحاجة إلى تحقيق الذات بعد إشباع الحاجات الفسيولوجية والنفسية والاجتماعية في كل الأحوال فقد يشعر الإنسان بتحقيق الذات مع حرمانه من الطعام والماء والراحة والنساء ، ومع تعذيبه بالحبس والنفي ومصادرة الأموال ، فالرسل والمصلحون الاجتماعيون لم يعبأوا بإشباع حاجاتهم الجسمية ، ولم يهتموا بملذاتهم الحسية ، والصيام في الإسلام فيه تحقيق للذات بالرغم من الامتناع عن الطعام

والشراب والجنس ، ففيه تأجيل لذات جسمية للحصول على لذات نفسية روحية
أسمى وهي لذة الفوز برضوان الله عزوجل.

٠٤ . إن تحديد الذات بتنمية القدرات ، والعمل بأقصى وسع لتحقيق الفردية
والاستقلالية ، والمنفعة الشخصية ، وقول الإنسان ما يراه صوابا ، واكتفاء الإنسان
نفسه عن الناس ، يجعل الفرد يؤلِّه نفسه ، ويقدم المنفعة الفردية ، ويعبد الحرية
الشخصية ، ويضعها فوق كل اعتبار ، ويجعل حقوق الفرد وواجباته نابعة من الفرد
لا من الجماعة .

الفصل الثالث

جانب من نتائج هذه الدراسة كمعين للباحثين

صحة نفسية و مضامين تربوية

اعتاد الباحثون في المجال التربوي والنفسي في الغالب أن يتناولوا أدبيات فلاسفة أو مفكرين أو مربين ، لهم بصمة واضحة في المجال التربوي فيأخذوها على محمل البحث ليتمكنوا من تفسير واستخراج ما أنتجته أفكارهم من رؤى تربوية وأبعاد نفسية لها تأثيرها على المتعلم ، والشواهد كثيرة وواضحة للعيان فأغلب البحوث التربوية تركّز على رجال التربية في العصر الإسلامي كالغزالي وابن خلدون ، فضلا عن آراء بعض المربين المسلمين مثل ابن سحنون ، الثعالبي ، ابن مسكويه ، إخوان الصفا ، ابن سينا ، ابن عبد البر ، الزرنوجي والعموي وغيرهم ، إن الباحثين في الدول الإسلامية في المجال التربوي والنفسي لا يتقربون كثيرا من البحث لفلاسفة شموليين على خلفية أن ما يخرج من مادة تربوية او نفسية من فلسفتهم لا تشكل إلا الجزء اليسير في المجال التربوي والنفسي مستندين على خلفية أن المجال الذي يبحثون فيه هؤلاء الفلاسفة هو المجال الفلسفي المتمثل بـ القدماء الخمسة (الله ، النفس ، الهيولي، الزمان ، المكان) ولذلك حُصرت اغلبها في أقسام الفلسفة في كليات الآداب وأُنيطت إلى طلابها ، وتعتبر هذه الدراسة واحدة من المحاولات التي تجاوزت ذلك المفهوم أو الخلفية وعرضت نصوص نفسية أي ما يخص العلم بالنفس وأقسامها وحالاتها من فلاسفة شموليين وبالذات ركّزت الدراسة على ما يهدي الفرد لصحة نفسية من وجهة نظر هؤلاء الفلاسفة وبطريقة إرشادية كالتأكيد على الفضائل النفسية تجاه الرب والنفس أو الفضائل الاجتماعية تجاه سياسة الفرد حيال مجتمعه على أساس أنها الضامن الوحيد لحياة نفسية سوية ، ثم استخرجت من تلك النصوص النفسية الداعية إلى صحة نفسية بل إلى حياة نفسية سعيدة أكثر اطمئنانا واستقرارا وإنتاجا مضامين تربوية وبوسيلة

إحصائية (تحليل المحتوى) التي تعد إحدى مناهج البحث العلمي في مجال العلوم الاجتماعية والإنسانية ، وان سبب استخدام هذه الأداة البحثية هو لمنح هذه الدراسة القدرة للحصول على بيانات ثرة تعكس قطاعا عريضا من المناخ السياسي والديني والاجتماعي لتلك الفترة التي أنتجت فيها تلك النصوص.

فيما يأتي تبيان كيفية حصول هذه الدراسة على استخراج المضامين التربوية من نصوص نفسية (أي نصوص تحدثت عن العلم بالنفس وأقسامها وأحوالها وورائلها وفضائلها) والتي اعتبرناها هادية الى الصحة النفسية، إذ وُزعت ما أحتوته هذه النصوص من أدبيات فلسفية على (٨) مجالات نفسية وكل مجال نفسي احتوى على ما أكده فكر هذا الفيلسوف من مضامين كمخرجات تربوية لهذا المجال النفسي .

المضامين التربوية للصحة النفسية في الفكر الإسلامي للفلاسفة الكندي، الرازي والفارابي موزعة على وفق مجالاتها تنازليا وحسب حصول المجال على التكرارات.

ت	المجال النفسي	الكندي		الرازي		الفارابي		المجموع	
		تكرار	نسبة %	تكرار	نسبة %	تكرار	نسبة %	تكرار	نسبة %
١	الشخصي	٥	١,٨	٣٢	١١,٦	٢٣	٨,٤	٦٠	٢١,٨
٢	الانفعالي	٩	٣,٩	٣٩	١٤,٢	٦	٢,٩	٥٤	١٩,٧
٣	المعرفي	٢٦	٩,٥	٩	٣,٢	١٧	٦,٢	٥٢	١٨,٩٨
٤	الأخلاقي	١	٠,٣	٢	٠,٧	٣٨	١٣,٨	٤١	١٤,٩٨
٥	الالتزام الديني	٨	٢,٩	١٤	٥,١	١٢	٤,٤	٣٤	١٢,٤
٦	الجسمي	-	-	١٠	٣,٦	٩	٣,٣	١٩	٦,٩
٧	الاجتماعي	٤	١,٤	-	-	٤	١,٤	٨	٢,٩٢
٨	الترويحي	-	-	٦	٢,٢	-	-	٦	٢,١٩
	المجموع الكلي	٥٣	١٨,٢	١١٢	٣٧,٩	١٠٩	٤٣,٨	٢٧٤	١٠٠

٠. الرازي

ومن هذا الجدول تبين أن التكرارات التي حصل عليها الفيلسوف الرازي في كافة المجالات أعلاه كانت أكثر من الفيلسوفين الآخرين الكندي والفارابي ، فالمجال النفسي الشخصي المتمثل باهتمامات الشخص كما يراها الآخرون سواء كانت في سلوكه ومواقفه وقدراته وكفايته قد احتوت على تأكيدات حثت على مضامين تربوية مثل (الإرادة ، التحمل ، السعادة ، الشجاعة ، الطمأنينة ، الطموح ، القيادة ، الكفاءة) بمعنى إن ماكد عليه هذا الفيلسوف من وجوب ترويض النفس بالفضائل والابتعاد عن الرذائل سينتج من خلال ذلك مضمونا تربويا يكفل للفرد حياة قليلة المعاناة والعثرات ولانقول خالية من ذلك على أساس أن الحياة لا بد أن تعثرها الخبرات المؤلمة في حياة الإنسان.

إن حصول الرازي على المرتبة الأولى في التكرارات في كافة المجالات النفسية أعلاه (الشخصي ، الانفعالي، المعرفي ، الأخلاقي ، الالتزام الديني، الصحة الجسمية، الاجتماعي ، والمجال الترويجي) لربما هو نابع من كون هذا الفيلسوف كان منذ صغره شغوفا بالعلوم العقلية والأدبية والتي سمت به إلى مراتب عالية من العلم والمعرفة حتى حدا بالمجتمع الإسلامي وغير الإسلامي أن لقبه بالطبيب الفيلسوف والكيميائي ، وقد رأت هذه الدراسة أن الذي ينتج من المؤلفات (٢٣٢) كتابا ورسالة اغلبها في الطب وبعضها في المنطق ، والطبيعيات ، وما وراء الطبيعة، الإلهيات ، علم النفس ، البصريات ، الكيمياء ، علم الهيئة ، والهندسة ، وكتب تتعلق بعلم النفس وبالذات ما يخص تعديل السلوك والعلاج النفساني ، لايسعه إلا أن يؤكد على أمور ذات قيمة تربوية في حياة الفرد ، فالمخرجات التربوية في المجال النفسي الشخصي كالإرادة ، التحمل ، السعادة ، الشجاعة ، الطمأنينة ،

الطموح ، القيادة ثم الكفاية ، لها من الأهمية بمكان أن تجعل الفرد أو المتعلم قادرا على تغيير اهتماماته وقناعاته نحو الأفضل ، والتغيير نحو الأفضل سواء في السلوك أو المواقف أو القدرات ليس هدفا تربويا وحسب وإنما هو غاية بحد ذاتها ينشدها التربويون وأكدوا ولازالوا يؤكدون عليها في فلسفة أي نظام تربوي أو تعليمي في العالم.

المجال الانفعالي :

المقصود بالمجال الانفعالي Emotional content هو الحالة الجسمية والنفسية التي تحلّ فجأة في أعقاب أو حدث غير متوقع له دلالة خاصة بالنسبة للفرد. أما مانبثق من التأكيد في المجال النفسي الانفعالي من مضامين تربوية فهي : السرور ، المزاج ، الرضا ، القلق، الخوف ، الأرق ، الحزن ، العاطفة ،

لقد حصل الرازي دون الكندي والفارابي على المرتبة الثانية في المجال النفسي الانفعالي ، وقد يعود سبب ذلك إلى أن الفيلسوف الرازي قد غلبت عليه شهرته كطبيب بشري ونفسي بارع ومبدع في العلوم الأساسية أكثر منه كفيلسوف وان كان ذلك لا يثلم شيئا من كونه فيلسوفا، مما جعل أفكاره ، آراؤه ذات منحى نفسي _تربوي حيث أن تربية الإنسان حسب فكره لا تخرج عن البدء بإصلاح الجانب الانفعالي المتمثل بالحالة الجسمية والنفسية للفرد على أساس أن هذا الإنسان لا يكون سويا إلا عندما يكون قريبا من الاعتدال أي قادرا على تحويل قلقه إلى حالة ايجابية ، وان يجعل من الحزن حالة تربوية في تعديل سلوك مستقبلي فمثلا الحزن من جرّاء الوقوع في الخطأ في السلوك بين الإنسان وربه أو بين الإنسان والمجتمع يعني انه سيكون قادرا على تعديل سلوكه مستقبلا بدلا من جعل الحزن حالة من الهم والهبوط المعنوي وكذا الحال في الاعتدال في باقي المضامين الخاصة بهذا المجال كالسرور، الرضا ، الخوف ، الأرق ، العاطفة ، والمزاج ، فضلا عن أن هذا الاعتدال سيؤثر إيجابا على المجالات اللاحقة كالالتزام الديني ، الصحة

الجسمية ثم المجال التروحي ، وهذه المجالات أشبه بالسلسلة المتلازمة والمتوالية في فكر الفيلسوف الرازي .

ب. الكندي :

لقد كان تأكيد الكندي على المضامين التربوية في المجالين المعرفي والاجتماعي كبيراً ، والمجال النفسي المعرفي هنا يعني ؛ أنواع المعرفة التي تتمثل في الإدراك الحسي والتذكر والتخيّل والحكم والاستدلال ... أما المجال النفسي الاجتماعي فيعني؛ أنها مجموعة التنبهات والاستجابات الاجتماعية التي تؤثر في قيم الفرد أو الجماعة ، وان سبب تأكيد الفيلسوف الكندي على هذين المجالين ربما جاء من انه رأى بان التربية تكون صحيحة وإيجابية من خلال تنمية مجال الفرد المعرفي والذي يحتوي على مضامين تربوية كالذكاء ، الإدراك ، الانتباه ، العقل بحيث تجعله قادراً على أن يدرك ، يتذكر ، يتخيل ، يحكم ويستدل بالشكل المنطقي الذي يعصم ذهنه من الوقوع في الخطأ قدر المستطاع ، أما فيما يخص المجال الاجتماعي الذي احتل المرتبة الثانية في فكر الكندي فذلك قد يكون نابع من أن التفاعل ، الصداقة ، التعاون والتماسك من مكملات التربية كونها تجعل الفرد في وسط جاذب ، وبغيابها أو ضعفها سيكون هذا الوسط طارداً ، فضلاً عن أن الكندي عاش متفرغاً للعلم وقد صار بعد ذلك ومن سبقه من مفكرين ظهوراً في دور التكوين الفلسفي العربي الإسلامي من الذين عبروا بعلم الكلام الإسلامي إلى عهد التلاحق والمزج بطروحات العالم آنذاك وفلسفات الإغريق والهنود والفرس وسواهم ، من دونما خوف من الانصهار والذوبان ، لان هذه الفلسفة حصيلة علوم القران الكريم وقبسا من وهج السنة النبوية المطهرة ، فهي فلسفة مؤمنة متمسكة بمبادئها وعقائدها فقد جاء الإسلام ليحرر العقل وينتشل تفكير الناس من قيود العزلة ، ولما كان الكندي يمزج ويوفق لعقلانية العصر الذي عاش فيه ، ويوائم بين البحث

الفلسفي لأطروحاته العالمية وبين الوحي وشريعة الإسلام ، حيث انه كتب في العلم والتعليم ومناهج البحث ومارسها فعلا ، وكان صاحب مدرسة فكرية ، هي مدرسة بغداد الفلسفية التي لم تحظى بعد باهتمام الباحثين ولعل منهجه في البحث والتعلم ، يتشخص بجلاء من ذلك التواصل بين أبحاثه النفسية ودراساته الأخلاقية ، حتى بدا وكأن "علم النفس " لديه يفضي إلى تهذيب الأخلاق ، وبمعنى آخر أن المعيار الخلقى يعتمد عنده على قاعدة تقول ؛ أن إصلاح النفس لا يتحقق إلا بتحكيم العقل في القوانين الشهوانية والغضبية في الإنسان .

ت • الفارابي :

تميّز الفارابي عن الكندي والرازي بتأكيديه على المجال الأخلاقي والذي يعني ؛ مجموعة من قواعد السلوك التي يقبلها المجتمع قد احتلت أعلى درجة في فلسفته ربما لاعتقاده بان ما يحتويه هذا المجال من مضامين تربوية ، كالكياسة ، العدالة ، الاعتدال ، السخاء ، التعفف ، النصيحة ، الصدق والضمير ، هي بمثابة صمام الأمان الذي يصد عن المجتمع كل ما يؤدي إلى انحراف أفراده عن حالة السواء ، فهو الفيلسوف الزاهد الذي اكتفى بأربعة دراهم في اليوم لتأمين الضروري لحياته ، ليس هو صاحب المدينة الفاضلة التي شغلت عقول النخبة من الأمة الإسلامية فضلا عن الأمم الأخرى ، والتي كشفت عن مقدار اهتمام الفارابي بالأخلاق المتمثلة بالقيم والمثل العليا ووجوب القضاء على الفساد والشور لتتحقق ليس مجتمع فاضل وحسب وإنما مجتمع أفضل .

شرح المضامين التربوية التي انبثقت من المجالات النفسية الهادية الى
الصحة النفسية:

personality Field	أ . الشخصي
Emotional Field	ب . الانفعالي
Cognitive Field	ت . المعرفي
Moral Field	ث . الأخلاقي
Belief Field	ج . الالتزام الديني
Field Bio	ح . الصحة الجسمية
Field Social	خ . الاجتماعي
Restful Field	د . التروحي

أ . المجال الشخصي (personality content)

المقصود بالمجال الشخصي هو : اهتمامات الفرد كما يراها الآخرون سواء كانت في سلوكه ومواقفه وقدراته وكفايته ، وقد بلغت المضامين التربوية في المجال النفسي الشخصي ثمان مضامين وقد ترتبت حسب تكراراتها ونسبها المئوية إذ حصلت الإرادة على المرتبة الأولى ثم التحمل فالسعادة فالشجاعة فالطمأنينة فالطموح فالقيادة وأخيرا الكفاية ، وقد تفوق الرازي على الكندي والفارابي في تأكيده على الإرادة ، التحمل ، الطمأنينة ، الطموح والقيادة ، بينما تفوق الفارابي في مضمون السعادة ، الشجاعة والكفاية في الوقت الذي لم يشغل المجال الشخصي

بمضامينه التربوية حيزا في فلسفة الكندي إلا بمضمون الإرادة وبنسبة اقل من سابقه من الفلاسفة والجدول يوضح ذلك

ترتيب المضامين التربوية للصحة النفسية في المجال الشخصي مرتبة تنازليا حسب تكراراتها.

ت	المضامين التربوية	الكندي		الرازي		الفارابي		المجموع	
		تكرار	نسبة %	تكرار	نسبة %	تكرار	نسبة %	تكرار	نسبة %
١	الإرادة	٤	٦ر٦	١٤	٢٣ر٣	٨	٣١ر٣	٢٦	٤٣ر٣
٢	التحمل	-	-	٩	١٥	١	٦ر١	١٠	١٦ر٦
٣	السعادة	١	١ر٦	٢	٣ر٣	٧	١١ر٦	١٠	١٦ر٦
٤	الشجاعة	-	-	-	-	٥	٨ر٣	٥	٨ر٣
٥	الطمأنينة	-	-	٣	٥	١	١ر٦	٤	٥
٦	الطموح	-	-	٣	٥	-	-	٣	٥
٧	القيادة	-	-	١	١ر٦	-	-	١	١ر٦
٨	الكفاية	-	-	-	-	١	١ر٦	١	١ر٦
	المجموع الكلي	٥	٨ر٢	٣٢	٥٣ر٣	٢٣	٣٨ر٣	٦٠	١٠٠%

تبين من الجدول أعلاه بان المضامين التربوية التي حصلت على أعلى التكرارات إنما ظهرت من حيث قوة تأثيرها في الفعل التربوي ووجوب وجودها على المستوى الإنساني الشخصي ، وفيما يأتي مناقشة المضامين التي حصلت على أعلى التكرارات قياسا بالمضامين الأخرى :-

الإرادة (Volition) : فالإرادة ؛ تعني النزوع نحو الفعل في كافة نواحيه وجميع مراحل التطوري والفعل هنا كما رأته الدراسة ؛ هو القدرة على التغيير والتحكم في

الذات وهي سمة غاية في الأهمية في الفكر التربوي الإسلامي الذي أنتج آراء ونظريات وفلسفات متنوعة وليست تابعة فضلا عن أن الدراسات الحديثة ذات الطابع النفس – تربوي تؤكد ذلك ، ان الإرادة هي التي تمنح قوة التحكم في الذات ، والتحكم في الذات سلوك ذو مستوى عالي في الأداء الفردي خصوصا عندما يكون لدى المرء برنامج منظم ومتكامل ومتمرن لتحقيق أهدافه فيشعر انه تحكم في حياته فيعطيه القوة في التغلب على الصعوبات ، وهذا مطلب تربوي كريم وفاضل ربما هو الذي جعله يتصدر المرتبة الأولى في فكر الرازي الإسلامي .

التحمل : Endurance

ويعني قدرة الفرد على التحمل رغم المعاناة ، وهذه النتيجة تأتي من حيث أن الفكر الإسلامي زاخر بالأدبيات التربوية ذات الأسلوب القصصي بهذه السمة المحمودة والموجودة في العقل الجمعي اللاشعوري الإسلامي لأنها من السمات التي حث عليها الشرع الشريف بشقيه (القران والسنة النبوية)لأنها تعني القدرة على الاستمرار في الأداء واحتمال الألم ، وهي من الصفات الشخصية ذات القدرة على القيادة ، وقد تمثل تحمل الأذى بشخص الأسوة الحسنة صلى الله عليه واله وسلم مرورا بالخلفاء الراشدين ثم أهل البيت عليهم السلام ثم التابعين وتابع التابعين والسبب في ذلك أن التحمل يصنف ضمن آداب حسن الخلق الذي حسنه الشرع وأورد فيه مقالات تشير إلى ما معناه بان صاحب حسن الخلق يبلغ درجة صاحب الصوم والصلاة ، وعلى هذا الأساس يتم تربية المسلم وتقديمه كنموذج للمجتمع .

السعادة :- Happiness

ويعني التوافق النفسي مع الذات ، وجاءت هذه النتيجة من حيث ان الأصل في كلمة السعادة لغويا ؛ جاء من المساعدة والعون وأسعده الله إذا أعانه على بلوغ رضاه ، والسعادة عكس الشقاوة ، ففي السعادة راحة وتنعم وفرح ، وأما في الشقاء فتعب وهم وغم واكتئاب وان من يبلغ رضا الله بعونه ، لا بد أن يحصل على

السرور والحبور والنعيم المقيم ، وبجملة أدق تفصيلا فان السعادة في الفكر الإسلامي لا تكون إلا بمعرفة الله تعالى وإطاعة أوامره ، واجتناب نواهيه ، لأنه بهذه الطاعة يتخلص من الصراع الداخلي ، وينتقل من الذات إلى مرحلة تجاوزها، ثم الاندماج بشهود عظمة التصريف الإلهي للموجودات شهادة الوحدانية الإلهية في التسيير الكوني والخلق المستمر ، وقد راينا أن السعادة بهذا المعنى فردية بحتة يغلب عليها الطابع الفلسفي الذي لا يستغني عن الجانب التطبيقي المتمثل بالطابع الاجتماعي الذي يلقي بالمسؤولية على الإنسان في تحمل مسؤولياته تجاه الآخرين كخليفة في الأرض أن السعادة لا تتحقق بانعزالية الفرد المطلوب منه المشاركة في بناء المجتمع لان الإنسان مدني بالطبع كما هو المشهور من القول في الفكر الإسلامي ، وعلى هذا الأساس بان الفارابي رأى بان السعادة مقرونة بالتعاون بين الناس فكلما اتسع الاجتماع كان عموما اقرب إلى الكمال ، وهذا مطلب تربوي يوفره المجتمع الإنساني المتعاون المتفاعل مع بعضه، وإلا فأين يكمن الدور التربوي للفرد في انعزاله وتنحيه عن دوره في بناء المجتمع ، ومن أين يأتيه الكمال وهو بعيد عن الخبرات وسلبية التجارب أو ايجابياتها .

الشجاعة: Courage

وتعني مجابهة الظروف الصعبة بكفاءة نفسية عالية ، وقد جاءت هذه النتيجة من كون أن الشجاعة كمعنى تربوي لا تعني هنا قوة العضلة وإنما هي قوة الفكرة وأسلوب طرحها والدليل على ذلك أن المسلمين يطلقون كلمة شجاع حتى على الشيخ المسن الذي لا يقوى على حمل السلاح شريطة أن يكون صاحب مبدأ وفكرة مشروعة يكافح من اجل تحقيقها كقوة معنوية لان القوة المعنوية محمودة الجانب في الفكر الإسلامي ، والشواهد على أنها محمودة كثيرة ، فمنها أن من القضايا التي حرص الإسلام على تأصيلها في نفس المسلمين قضية "القوة المعنوية" حيث وجه الإسلام المسلمين إلى ضرورة أن يبقوا محافظين على هذا الأمر

ملتزمين بقوله تعالى " ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الأعلون إن كنتم مؤمنين " آل عمران: ١٣٩ } وقد سعى الرسول صلى الله عليه واله وسلم ومن بعده الصالحين من هذه الأمة إلى إحياء هذا الشعور وتربيته في نفوس المسلمين كافة من جهة أن قوة المجتمع وضعفه مرتبط بالقوة المعنوية .

الطمأنينة : Quietude

ونعني بها السكون والثبات والاستقرار والثقة والراحة النفسية ، وتأتي هذه النتيجة من حيث أن الطمأنينة تعني السكون والثبات والاستقرار والثقة والراحة النفسية بمعنى السكون والثبات والاستقرار كلها عكس حالة اسمها الاضطراب التي إن وجدت هذه الحالة في شخصية الفرد فسوف لن يستفيد من أي مجال تربوي سواء كان مؤسساتي أو مجتمعي ، ومن هنا جاء التأكيد عليه في فلسفة الرازي .

الطموح : Aspiration

ونعني به التطلع إلى الوصول إلى هدف انجازي معين ، حيث جاءت هذه النتيجة من جهة أن من أفضل الصفات الشخصية التي توصل الفرد إلى غاياته النبيلة في العلم وداخل مجتمعه ، حيث لم يصل النخبة من الأفراد أو المجتمعات إلى التقدم في العلوم والمعرفة إلا بوجود هذه الصفة الخلاقة في شخصية الإنسان فزرعها في النفس الإنسانية فعل تربوي عظيم وقطف ثماره أعظم ، لأنها تعني التطلع المؤدي إلى الوصول إلى تحقيق الأهداف على مستوياتها كافة ، خصوصا عندما تكون هذه الأهداف في صالح الإنسان والمجتمع .

ب • المجال الانفعالي : Emotional Content

المقصود بالمجال الانفعالي هو ؛ الحالة الجسمية والنفسية التي تحل فجأة في أعقاب حدث غير متوقع له دلالة خاصة بالنسبة للفرد ، فقد بلغت المضامين التربوية للصحة النفسية في هذا المجال ثمان مضامين تربوية وقد ترتبت حسب تكراراتها ونسبها المئوية إذ حصل القلق على المرتبة الأولى ثم الحزن فالسرور فالخوف فالأرق فالرضا فالعاطفة وأخيرا المزاج ، وقد تفوق الرازي على الكندي والفارابي في تأكيده على القلق ، الحزن ، السرور ، الرضا ، الخوف ، الأرق ، العاطفة ، بينما كان تأكيد الكندي بدرجة اقل من الرازي على القلق ، الحزن ، السرور والرضا ، في الوقت الذي أكد الفارابي على الرضا ، الخوف والسرور وبدرجة اقل على المزاج والجدول ادناه يوضح ذلك

ترتيب المضامين التربوية للصحة النفسية في المجال الانفعالي مرتبة تنازليا وحسب تكراراتها.

ت	المضامين التربوية	الكندي		الرازي		الفارابي		المجموع	
		تكرار	نسبة %	تكرار	نسبة %	تكرار	نسبة %	تكرار	نسبة %
١	القلق	١	١٨	١٠	١٨٥	-	-	١١	٢٠٣
٢	الحزن	٣	٥٥	٨	١٤٨	-	-	١١	٢٠٣
٣	السرور	٢	٣٧	٥	٩٢	١	١٨	٨	١٤٨
٤	الرضا	٣	٥٥	٣	٥٥	٢	٣٧	٨	١٤٨
٥	الخوف	-	-	٥	٩٢	٢	٣٧	٧	١٢٩
٦	الأرق	-	-	٤	٧٤	-	-	٤	٧٤
٧	العاطفة	-	-	٣	٥٥	-	-	٣	٥٥
٨	المزاج	-	-	١	١٨	١	١٨	٢	٣٧
	المجموع الكلي	٩	١٦٦	٣٩	٧٢٢	٦	١١١	٥٤	١٠٠%

ان المضامين التربوية التي حصلت على أعلى التكرارات إنما ظهرت من حيث ضرورة عدم غيابها في مجال التربية ، وتنميتها بطريقة مخطط لها تربويا سواء في المجال الأسري أو الأكاديمي ، وقد نوقشت المضامين التي حصلت على أعلى التكرارات قياسا بالمضامين الأخرى :-

القلق: Anxiety

عرفته موسوعة لالاند الفلسفية بأنه؛ **جملة ظواهر وجدانية يسودها إحساس داخلي بالقهر والانقباض** يصاحب عادة من خوف أو عذاب أو من تعاسة خطيرين ووشيكين يشعر المرء أمامهما بالعجز عن دفعهما ، **اما التعريف النفسي للقلق فهو حالة انفعالية تتميز بالخوف لما يحدث في المستقبل** وقد رأينا أن هذا التعريف وان كان قريبا من فحوى الموضوع إلا انه لا يتطابق تماما مع ما يصبوا إليه الفكر الإسلامي من إيجاد القلق في النفس البشرية لا كاضطراب نفسي وإنما كمضمون تربوي يحث المسلم على تملكه ، كنتاج لعملية محاسبة النفس لأنها تشكل حجر الزاوية (**Stone of corner**) في تعديل السلوك الإنساني ، والفكر الإسلامي زاخر بالأعمال الفكرية التي تثني على النفس اللوامة التي تحاسب صاحبها فترده إما إلى الصواب أو الندم على ما ارتكب فضلا عن حث القرآن الكريم والسنة النبوية على ذلك ، وهو قريب ، أو يتفق بعض الشيء من الحالة المسماة القلق الأخلاقي **Moral anxiety** الذي تتحدث به الأدبيات النفسية الغربية التي ترى انه ناتج عن حكم الأنا العليا بوجود ذنب أو إثم قد ارتكبه النفس الإنسانية .

الحزن : Dejection

ونعني به حالة مؤقتة من الهم والهبوط المعنوي وقد اتت هذه النتيجة من حيث أن الحزن كمضمون تربوي يعني بالدرجة الأساس إخراجة من دائرة الاضطرابات إلى دائرة المراجعات النفسية ليؤدي دوره النفسي في تصحيح رؤية

المسلم للحياة الدنيا ، كما رأى الرازي أن المسلم عليه أن يحزن إذا ما فاتته فرصة أن يخطو نحو تقوية العلاقة بينه وبين الإيمان لا أن يحزن إذا ما فاتته ذنب أو إثم أو مكسب دنيوي هو بالنتيجة دوامه من المحال .

السُرور : Plesantness

السُرور هو : شعور ايجابي يرافق الرغبة في أداء الفعاليات الاجتماعية فهو من الأهمية بمكان أن يكون حاضرا لإدامة واستمرار تلك الفعاليات التي هي بمضمونها إنسانية الطابع ، وان السُرور محرك يدفع باتجاه ايجابي نحو إدامة الفعل المرغوب اجتماعيا والسعي إلى استمرار العلاقة بين الأفراد .

الرضا : Complacency

فلما كان الرضا حالة من التوازن الدينامي بين الكائن والبيئة ، فذلك يأتي من كون هذا الإنسان قانعا وراضيا بالقليل ، وقد حث الشرع الإسلامي على ذلك وحببه للنفس البشرية المتطلعة دائما للأفضل لأنه يمثل حقيقة التوازن النفسي خصوصا عندما يرى الفرد هذا القليل كثيرا من الله عزوجل ، حيث ان الأحاديث النبوية كانت داعمة ومعززة لهذا الرضا ، قال النبي صلى الله عليه واله وسلم " خيار أمتي القانع ، وشرارهم الطامع " وقال أيضا " طوبى لمن هدي للإسلام وكان عيشه كفافا وقنع به " ، وعن الصحابي الجليل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قال ؛ " من رضي باليسير من الرزق رضي الله منه بالقليل من العمل "، ان الفرق الجوهرية بين الفرد السعيد والفرد التعيس الكئيب هو الرضا والقناعة ، فإذا وجد الرضا عند الفرد عاش سعيدا هانئا ، مرتاح البال ، وإذا كان العكس ، عاش تعيسا وقلقا من كل شيء ، حتى ولو ملك الدنيا بأكملها .

الخوف : fear

وهذه النتيجة تعني أن الخوف كتوجيه تربوي لا يعد نوعا من الاضطرابات النفسية أو حالة عصابية وإنما هو من وجهة النظر الإسلامية يعد من خصال النفس

المتميّزة التي تراعي وجودها في الأرض ومصيرها فيما بعد في السماء ، والخوف تربويًا يشكل رادعًا للنفس التي تجنح لارتكاب المعصية ، ومن أفضل حالات الخوف الإيجابي التي يجسدها المسلم ، هي اتصافه بالورع أي الوقوف عند الشبهات وبعبارة أوضح عدم الأخذ بأمر فيه شبهة من حرام ولو لم يكن بيّنًا ، وتأتي هذه الصفة من صفاء النفس والخوف عليها من الوقوع في الحرام ، وقد قال النبي الأكرم عليه الصلاة والسلام " جلساء الله غدا أهل الورع والزهد في الدنيا " وقال؛ ركعتان من رجل ورع أفضل من ألف ركعة من مخلط " ، وهذا حث تربوي على وجوب الاتصاف بالخوف المؤدي إلى الفضيلة ، ان الخوف من الله يؤدي وظيفة هامة ومفيدة في حياة المؤمن ، إذ يجنبه ارتكاب المعاصي ، فيقيه بذلك من غضب الله وعذابه ، ويحثه على أداء العبادات والقيام بالأعمال الصالحة ابتغاء مرضاة الله ، فالخوف من الله يؤدي في نهاية الأمر ، إلى تحقيق الأمن النفسي ، قال تعالى "إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا لولا تحزنوا وابتشروا بالجنة التي كنتم توعدون " (فصلت: الآية ٣٠) وهكذا يغمر المؤمن شعور الرجاء في عفو الله تعالى ورضوانه .

ت • المجال المعرفي : Cognitive Content

المقصود بالمجال المعرفي : هو أنواع المعرفة التي تتمثل في الإدراك الحسي والتذكر والتخيل والحكم والاستدلال ، فقد بلغت المضامين التربوية للصحة النفسية في المجال المعرفي أربعة مضامين وقد ترتبت حسب تكراراتها ونسبها المئوية إذ حصل الإدراك على المرتبة الأولى ثم أعقبه العقل فالانتباه فالذكاء ، وقد تفوق الكندي على الرازي والفارابي بتأكيده على الإدراك ، العقل ، الانتباه و الذكاء ، بينما جاء الفارابي بعد الكندي في التأكيد على الإدراك ، العقل والذكاء ، أما الرازي فجاء تأكيده بالمرتبة الثالثة بعد الكندي والفارابي في التأكيد على الإدراك ، العقل والانتباه والجدول يوضح ذلك

ترتيب المضامين التربوية للصحة النفسية في المجال المعرفي مرتبة تنازليا وحسب تكراراتها.

ت	المضامين التربوية	الكندي		الرازي		الفارابي		المجموع	
		تكرار	نسبة %	تكرار	نسبة %	تكرار	نسبة %	تكرار	نسبة %
١	الإدراك	١٠	١٩ر٢	٤	٧ر٦	٦	١١ر٥	٢٠	٣٨ر٤
٢	العقل	١٠	١٩ر٢	٢	٣ر٨	٧	١٣ر٤	١٩	٣٦ر٥
٣	الانتباه	٤	٧ر٦	٣	٥ر٧	-	-	٧	١٣ر٤
٤	الذكاء	٢	٣ر٨	-	-	٤	٣ر٦	٦	١١ر٤
	المجموع الكلي	٢٦	٥٠	٩	١٧ر٣	١٧	٣٢ر٦	٥٢	١٠٠

تبيين من الجدول أعلاه بان المضامين التربوية التي حصلت على أعلى التكرارات إنما ظهرت من حيث انه لا يصلح بدونها ما يرتقي بالإنسان إلى مراتب التكليف والعلم والحياة المنتجة وفيما يأتي مناقشة المضامين التي حصلت على أعلى التكرارات قياسا بالمضامين الأخرى :-

الإدراك : Perception

الإدراك يعني انتقال ما هو موجود في العالم الخارجي (البيئة) إلى داخل مخ الفرد ثم تأويل هذا الداخل، فذلك يعني انه يصنف ضمن المبادئ التربوية النفسية المهمة، إن الفكر الإسلامي اهتم بموضوع الإدراك غاية الاهتمام لسبب رئيسي ومهم ؛ هو أنهم اعتبروا الإدراك "أساس التعلم" حيث لا يكتسب المتعلم شيا لا يفهمه، ولما كان الفكر الإسلامي يمتلك الرؤية المهنية الواضحة في التفريق بين التربية من جهة والتعليم من جهة أخرى وان الأولى اكبر من الثانية ، فان الذي لديه مشكلة في الإدراك ستكون فرصته ضئيلة في تغيير اتجاهاته وسلوكه ،فربما من هنا جاءت أهمية التركيز عليه في فكر الكندي .

العقل : Mind

قدمت الدراسة العقل من الناحية التربوية واختزل الخوض به من الناحية الفلسفية التي تقسمه إلى (عقل فعال ، عقل مستفاد ، عقل بالفعل ، عقل بالقوة) والمقصود به هنا تربويا هو : القدرة على الفهم والاستيعاب واحتواء الفكرة ، ان مكانة الإنسان في القران الكريم هي اشرف مكانة في ميزان الخليقة الذي قورن به طبائع الكائن بين عامة الكائنات ، وقد ميزه الله تعالى بخاصة التكليف لامتلاكه العقل الذي يدخل في كل ملكة من ملكاته ، مما يجعله يشعر بأنه قوة دافعة في بناء المجتمع والسلوك الفاضل ، هذه دلالة واضحة على تكريم الإنسان من قبل الخالق الذي جعله خليفة في الأرض على سائر المخلوقات الأخرى ، قال تعالى "لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم" (التين:٣) ويفهم من التقويم الحسن الصورة الظاهرة

الاعتدال في العمل والإرادة وهي قدرة بلا شك تؤكد العلاقة الضرورية بين متطلبات العناصر الأساسية في تكوين الإنسان .

الانتباه : Attention

الانتباه هي تبلور شعور الإنسان على شيء ما في مجاله الإدراكي ، فمعنى ذلك تركيز الشعور على موضوع معين وما عدا هذا الموضوع يكون في هامش شعوره أو حاشيته، إن الانتباه من العمليات العقلية المهمة التي يحتاجها الفرد المسلم فضلا عن الداعي إلى الله ، وكإشارة تربوية لهذا المضمون فإن الفكر الإسلامي عندما يدعو إلى ترك السلوك الذي ليس في صالح المسلم في الدنيا والآخرة فإنه يختار الكيفية المناسبة لذلك وهي طريقة التحذير لجلب الانتباه ليجعل الفكرة المراد استيعابها ضمن المجال الإدراكي أو بؤرة الشعور للاستفادة منها بتعديل سلوك أو اتجاه أو تبني أو رفض فكرة .

ث . المجال الأخلاقي : Moral Content

المقصود بالمجال الأخلاقي هو مجموعة من قواعد السلوك التي يقبلها المجتمع وقد احتوى هذا المجال النفسي من المضامين التربوية للصحة النفسية (٨) ثمان مضامين وقد ترتبت حسب تكراراتها ونسبها المثوية ، إذ حصلت الكياسة على المرتبة الأولى ، ثم أعقبها العدالة ، الاعتدال ، السخاء ، الزهد ، النصيحة ، الصدق والضمير ، وقد تفوق الفارابي على الكندي والرازي بجميع المضامين المشار إليها أعلاه ، بينما كان تأكيد الرازي على المضمونين العدالة والنصيحة بالقياس إلى الكندي الذي أكد فقط على الاعتدال والجدول يوضح ذلك

ترتيب المضامين التربوية للصحة النفسية في المجال الأخلاقي مرتبة تنازليا

ت	المضامين التربوية	الكندي		الرازي		الفارابي		المجموع	
		تكرار	نسبة %	تكرار	نسبة %	تكرار	نسبة %	تكرار	نسبة %
١	الكياسة	-	-	-	-	٧	١٧	٧	١٧
٢	العدالة	-	-	١	٢ر٤	٦	١٤ر٦	٧	١٧
٣	الاعتدال	١	٢ر٤	-	-	٦	١٤ر٦	٧	١٧
٤	السخاء	-	-	-	-	٦	١٤ر٦	٦	١٤ر٦
٥	الزهد	-	--	-	-	٥	١٢ر١	٥	١٢ر١
٦	النصيحة	-	-	١	٢ر٤	٤	٩ر٧	٥	١٢ر١
٧	الصدق	-	-	-	-	٣	٧ر٣	٣	٧ر٣
٨	الضمير	-	-	-	-	١	٢ر٤	١	٢ر٤
المجموع الكلي		١	٢ر٤	٢	٤ر٨	٣٨	٩٢ر٦	٤١	%١٠٠

وفيما يأتي مناقشة المضامين التربوية التي حصلت على أعلى التكرارات قياسا

بالمضامين الأخرى :-

الكياسة : Discretion

الكياسة وعي حساس لدى الفرد تجاه الأحكام الاجتماعية بحيث يحمله على

عدم مخالفتها تجنباً للنقد، وهي من الأمور الإيجابية التي يحبذها المجتمع الإسلامي

في أن توجد في الشخصية الإنسانية، وان مثل هكذا شخصية تكون عازمة على أن

تجب عن نفسها الغيبة .

العدالة : Justice

العدالة هي: الاستقامة على طريق الحق وتوجب على المرء الامتناع عن الشر واجتناب الاعتداء على الآخرين وتأتي هذه النتيجة من أن العدل يعتبر من السمات الخلقية التي لا يصل إليها الإنسان دون أن يتخلى عن أهوائه ورغباته المتعلقة بالدنيا لكي يتصف ويوصف بها لأنها من السمات الفاضلة ، ان حظ العبد من العدل لا يخفى وأول ما عليه من العدل من صفات نفسه هو أن يجعل الشهوة والغضب أسيرين تحت إشارة العقل والدين |، وكإشارة تربوية بالحث إلى التحلي بمثل هكذا صفات فان ذلك يقيم أساسا للمجتمع السليم المبني على الحقوق مقابل الواجبات والفكر الإسلامي يجعل من العبارة الشائعة الاستخدام القائلة(العدل أساس الملك) حجة على القائمين على أمر العباد .

الاعتدال : temperance

ان الاعتدال لا يفرق بالمعنى الجوهري عن الوسطية ؛ والتي تعني عدم تغليب جانب على جانب آخر بمعنى إشباع الرغبات المادية والحاجات الروحية بطريقة متوازنة لا إفراط ولا تفريط ، فالفكر التربوي الإسلامي وان كان لا ينكر حق الاستمتاع بالحياة إلا انه جعل ذلك الاستمتاع مشروط على أساس أن الحرية إذا لم تكن مشروطة وداعية إلى تحمل المسؤولية فإنها ستؤدي إلى فوضى في النظر إلى الأشياء والخصومات ، كذلك فان الاعتدال ممدوح من قبل الخالق عزوجل لأنه يحقق المحبة وإفشاء السلام بين أفراد المجتمع وتلك غاية تربوية عظيمة .

السخاء : munificence

وتأتي هذه النتيجة من حيث أن العرب تطلق على الجواد أيضا السخي والفكر الإسلامي عندما يركز على السخاء فلأن فضيلته هي عدم تعلق النفس بالمال الذي هو من أسباب المشكلات الاجتماعية والخصومات بين بني البشر بل وترتكب

من اجله الجرائم ضد الإنسان وتقتل النفس التي حرم الله قتلها إلا بالحق ، وفضل السخاء انه يقوم بدور تربوي بان يعطي درسا موجعا للمتعلقة نفوسهم بالمال ، إذ يضع السخي المال في مواضعه كمساعدة المحتاجين والفقراء والمعوزين ولا يراه إلا وسيلة ، على عكس أولئك الذين يرونه غاية ، والأدبيات الإسلامية تعج بذكر نماذج ارتقت بالسخاء مرتقى عاليا فأصبحوا القدوة والأسوة ابتداء بالنبي (صلى الله عليه واله وسلم) ثم أصحابه الذين اقتدوا به واهتدوا بهداه رضي الله عنهم مروراً بأهل البيت عليهم السلام فالتابعين، ولم تخلوا الأرض من هذه الشخصيات ليومنا هذا ، ولا زالت هذه الأدبيات تكرر وتتمجد تربوية هذا المضمون مثلما جاء في قصيدة الفرزدق في مدح الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليهم السلام ، كمثال ساقه الباحث لهذا التكريس والترغيب التربوي في نفس الفرد :

<p>يا سائلي أين حل الجود والكرم هذا الذي تعرف البطحاء وطأته هذا بن خير عباد الله كلهم ما قال (لا) إلا في تشهده إذا رآته قريش قال قائلها هذا بن فاطمة إن كنت جاهله وليس قولك من هذا بضائره إن عد أهل التقى كانوا أئمتهم</p>	<p>عندي بيان إذا طلابه قدموا والبيت يعرفه والحل والحرم هذا النقي التقى الطاهر العلم لولا التشهد كانت لاؤه نعم إلى مكارم هذا ينتهي الكرم بجدّه أنبياء الله قد ختموا العرب تعرف من أنكرت والعجم أو قيل من خير أهل الأرض قيل هم</p>
--	--

الزهد : Asceticism

وجاءت هذه النتيجة من كون أن الأدبيات الإسلامية أكدت على ترك الملذات مع التمكن منها استحقاقا لها هو الزهد بعينه ، كالتخلّي عن (مكسب مالي ، جاه سياسي ، منصب ديني ، مكانة إدارية ، حيازة عقارات ٠٠٠ وغيرها) مع وجود القدرة على الظفر بها ، وهذا نوعا من التربية النفسية التي تمكن الفرد من القدرة على تغيير السلوك الإنساني بالاتجاه الذي يحقق الأمن النفسي للفرد والمجتمع ، أن الفرد بزهده بشهوات الدنيا ينال الفضائل الأخلاقية ، حيث أن ترك الشهوات يؤدي إلى

زيادة شرفه وعزته وقوة عزمته ، وهذا ديدن الأنبياء والصالحين ، فإنهم ما وصلوا إلى ما وصلوا إليه من المكارم الأخلاقية والفضائل الإنسانية إلا بالزهد ، وهذا المضمون له محامد كثيرة في القرآن والسنة وأحاديث الأعلام من أمة محمد صلى الله عليه واله وسلم ، وغاية ما يصبوا إليه الزهد تربويا هو حث الفرد على الإقلال من التكاليف على الشهوات والمطامع في أقل تقدير لهذا الموضوع في حياة الفرد المسلم

ج . مجال الالتزام الديني : Belief Content

المقصود بمجال الالتزام الديني : هو مجموعة الضوابط الإيمانية والاجتماعية والسلوكية التي تتحدد سلوك الإنسان في المجتمع السليم وإيمانه بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وقد احتوى هذا المجال (٧) سبع مضامين تربوية قد تربت حسب تكراراتها ونسبها المئوية إذ حصل الصبر على المرتبة الأولى ثم أعقبه الفضيلة ، فالإيمان فاليقين فالحمد فالشكر وأخيرا الخشية ، وقد كان تأكيد الرازي على الصبر والفضيلة بالدرجة الأساس فأعقبها اليقين والشكر والخشية بينما أكد الفارابي على الصبر والإيمان بالدرجة الأساس فأعقبها اليقين والحمد في حين أكد الكندي على الفضيلة بالدرجة الأساس وقد تساوى الفلاسفة الثلاثة في مضموني اليقين والشكر والجدول يوضح ذلك

ترتيب المضامين التربوية للصحة النفسية في مجال الالتزام الديني مرتبة تنازليا

ت	المضامين التربوية	الكندي		الرازي		الفارابي		المجموع	
		تكرار	نسبة %	تكرار	نسبة %	تكرار	نسبة %	تكرار	نسبة %
١	الصبر	١	٢٩%	٥	١٤٧%	٥	١٤٧%	١١	٣٢٣%
٢	الفضيلة	٣	٨٨%	٦	١٧٦%	-	-	٩	٢٦٥%

١٤٧	٥	١٤٧	٥	-	-	-	-	الإيمان	٣
٨٨	٣	٢٩	١	٢٩	١	٢٩	١	اليقين	٤
٨٨	٣	٢٩	١	-	-	٥٨	٢	الحمد	٥
٨٨	٣	-	-	٢٩	١	٢٩	١	الشكر	٦
٢٩	١	-	-	٢٩	١	-	-	الخشية	٧
١٠٠ %	٣٤	٣٥٣	١٢	٤١٢	١٤	٢٣٣	٨	المجموع الكلي	

ولقد تم مناقشة المضامين التي حصلت على اعلى التكرارات قياسا بالمضامين الاخرى في نفس المجال :-

الصبر : Patience

فالصبر يعني الثبات ، وان صفة الصبر صفة إنسانية راقية تتمثل بالثبات على المبادئ مهما تقلبت الظروف والأحوال ، ومهما اشتدت المصائب ، وقد وصف الله عزوجل الصابرين بأوصاف عظيمة في القران الكريم ووعدهم بأعلى الدرجات في جنانه الواسعة وحتى في الدنيا ، قال تعالى (ولنجزيَن الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) {النحل:٩٦}، فيما أشار (نجاتي ، ١٩٨٢) إلى أن الصبر فيه الفوائد العظيمة في تربية النفس ، وتقوية الشخصية ، وزيادة قدرة الإنسان على تحمل المشاق ، وتجديد طاقته لمواجهة مشكلات الحياة وأعبائها ، كما أن معظم أهداف الإنسان في الحياة سواء في ميادين الحياة العلمية التطبيقية من اجتماعية واقتصادية وسياسية ، أو في ميادين البحث العلمي تحتاج إلى كثير من الوقت ، ولما كان الصبر يعلم الإنسان المثابرة فان ذلك يرتبط تلقائيا بقوة الإرادة المؤدية إلى انجاز الأعمال العظيمة . والصبر صفة محمودة ليس في الفكر التربوي الإسلامي الذي يحث المرين على أن يؤكدوا عليها وحسب وإنما هي كذلك

في كل الديانات الأخرى لكونها مفتاح الخير للشخصية الإنسانية المتزنة فضلا عن أنها عكس الاضطراب والتملق الذي هو من الصفات السلبية للفرد .

الفضيلة : Virtue

وتأتي هذه النتيجة من حيث ان الفضيلة إذا كانت تعني الدرجة الرفيعة في الفضل ، فان هذا المضمون لا يخرج عن مدار تزكية النفس وتطهيرها ، والتوجهات الإسلامية في هذا المضمار تتركس أولا مسالة الترفع أو الابتعاد عن كل ما يثلم شخصية المؤمن من حب للدنيا ، شح ، غرور ، إتباع هوى ، حسد ، حب الجاه والرئاسة ، رياء ، خوض في باطل ، فحش ، بذاعة ، إفشاء السر ، لعن ، خصومة ، نميمة ، غيبة ، هذا أولا ، وثانيا تتركس بالجانب المقابل أيضا تزكية النفس بالتوحيد ، الإخلاص ، الصدق مع الله ، الزهد ، التوكل ، الخوف والرجاء ، التقوى ، الورع ، الشكر ، الصبر والتسليم والرضا وغيرها من الفضائل ، وفي واقع الأمر أنها وسائل تربوية للوصول إلى تغير السلوك وتهذيبه من كافة نواحيه النفسية والعضوية والوجدانية ، والروحية والخلقية .

الإيمان : Faith

فالإيمان يعني **الثقة وإظهار القبول والشريعة** وما هو شائع في الفكر الإسلامي أن الإيمان يعني التصديق بالقلب ، والنطق بالشهادتين ، والعمل بالجوارح والأركان وهذا يعني الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر وبالقدر خيره وشره ، وقد يصعب على الباحث فصل الجانب التربوي عن الجانب النفسي في موضوع الإيمان وذلك للتداخل والتلازم الشديد بينهما ، لكونه سلوك أعلى من كونه ثنائي الفائدة وان النسبة بين هذين الجانبين متعادلة ، أي بمعنى أوضح ليس بينهما نزاع غالب فقد أوضح (نجاتي، ١٩٨٢) بان البعض من علماء النفس والكثير من المفكرين الغربيين في العصر الحديث أشاروا إلى أن أزمة الإنسان في

المعاصر إنما ترجع أساسا إلى افتقار الإنسان إلى الدين والقيم الروحية ، وقد أشار المؤرخ **ارنولد توينبي A. Toynbee** إلى أن الأزمة التي يعاني منها الأوربيون حاليا إنما ترجع في أساسها إلى الفقر الروحي ، وأن العلاج الوحيد لهذا التمزق الذي يعانون منه هو الرجوع إلى الدين ، على أساس أن للإيمان تأثيرا عظيما في النفس ، فهو يزيد من ثقته بنفسه ، ويزيد قدرته على الصبر وتحمل مشاق الحياة ، ويبث الأمن والطمأنينة بالنفس ، وقال تعالى " إن الذين امنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب" (الرعد : ٢٨) .

ح . المجال الجسمي : Bio Content

المقصود بالمجال النفسي الجسمي هو ؛ حاجات إنسانية يتطلب من الفرد إشباعها ، فقد بلغت المضامين التربوية للصحة النفسية في المجال الجسمي ثلاثة مضامين وقد ترتبت حسب تكراراته ونسبها المئوية إذ حصلت الصحة الجسمية على المرتبة الأولى فأعقبها الراحة ثم العطش وقد تفوق الرازي بالصحة الجسمية ، أما الفارابي فجاء تسلسله بالدرجة الثانية بالتأكيد على المضامين الثلاثة المشار إليها ، بينما لم يؤكد الكندي على أي مضمون من هذه المضامين والجدول يوضح ذلك ، ترتيب المضامين التربوية للصحة النفسية في المجال الجسمي مرتبة تنازليا وحسب تكراراتها

ت	المضامين التربوية	الكندي		الرازي		الفارابي		المجموع	
		تكرار	نسبة %	تكرار	نسبة %	تكرار	نسبة %	تكرار	نسبة %
١	الصحة الجسمية	-	-	٨	٤٢١	٦	٣١٥	١٤	٧٣٧
٢	الراحة	-	-	٢	١٠٥	٢	١٠٥	٤	٢١
٣	العطش	-	-	-	-	١	٥٢	١	٥٢
	المجموع الكلي	-	-	١٠	٥٢٦	٩	٤٧٣	١٩	١٠٠ %

الصحة الجسمية : Eucrazy

حيث أن اتجاه الفكر الإسلامي نحو تأييد الثوابت التي تدخل الفرد المسلم داخل الملة وان كانت تمتاز بالروحانية التي هي سمه غالبية فيه لا تنفك عراها إلى يوم الدين إلا أنها لم تغفل أو تهمل الجانب الجسمي المتمثل بالقوة ، الصحة ، النظافة والطهارة فضلا عن النوم أو الاسترخاء وما شابه ذلك من الحث التربوي على تنمية البدن لغاية سامية كالقوة على أداء العبادة، وتحمل مشاق الدعوة إلى الله ، والذود عن دينه ، بالإضافة إلى وجوب إنشاء مجتمع مسلم صحيح ومعافى ، وقد

افرد الشرع الشريف أبوابا وتعليمات للطهارة والنظافة كانت ولا تزال الحصن
الواقى من الوقوع في المحظورات والأدواء .

الراحة : restful

فالراحة من العمليات العضوية التي يحتاجها الجسم فضلا عن ما تجلبه من
ايجابيات للفرد والجماعات ، ومن غير الراحة ينهار أي كائن حي له نفس يعيش بها
وكبد رطبة ينمو من خلالها ، ومن غيرها أيضا تتوقف اغلب الأنشطة الذهنية
للإنسان ومثال على ذلك ، فان من الحقائق العلمية التي تعطل ظاهرة النسيان هي
ظاهرة الكف الرجعي (Retroactive Inhibition) والمقصود به التأثير المانع
الذي يحدثه النشاط العقلي بعد عملية الحفظ مباشرة ، ومن هنا يفهم دور الراحة
وخاصة النوم في تثبيت عملية التذكر والذكريات.

خ . المجال الاجتماعي : Social Content

المقصود بالمجال الاجتماعي هو ؛ مجموعة التنبهات والاستجابات الاجتماعية التي تؤثر في قيم الفرد أو الجماعة ، فقد بلغت المضامين التربوية للصحة النفسية في هذا المجال أربعة مضامين وقد ترتبت حسب تكراراتها ونسبها المئوية ، إذ حصل التعاون على المرتبة الأولى ثم التفاعل فالصداقة والتماسك ، وقد تفوق الفارابي في مضمون التعاون ، بينما أكد الكندي على التفاعل فالصداقة والتماسك ، أما الرازي فلم يؤكد على أي مضمون في هذا المجال والجدول ادناه يوضح ذلك

ترتيب المضامين التربوية للصحة النفسية في مجال المضامين الاجتماعية مرتبة تنازليا وحسب تكراراتها

ت	المضامين التربوية	الكندي		الرازي		الفارابي		المجموع	
		تكرار	نسبة%	تكرار	نسبة%	تكرار	نسبة%	تكرار	نسبة%
١	التعاون	-	-	-	-	٤	٥٠	٤	٥٠
٢	التفاعل	٢	٢٥	-	-	-	-	٢	٢٥
٣	الصداقة	١	١٢٫٥	-	-	-	-	١	١٢٫٥
٤	التماسك	١	١٢٫٥	-	-	-	-	١	١٢٫٥
	المجموع الكلي	٤	٥٠	-	-	٤	٥٠	٨	١٠٠%

التعاون : (Competition)

ونعني به الجهد المتناسق المتكامل الذي يكون بين فردين أو أكثر لتحقيق غاية محددة ، وقد جاءت هذه النتيجة لكون الفكر الإسلامي بمجمله وبتشعباته واتجاهاته على مضمون التعاون لكونه ممدوح الصفة في القرآن الكريم ؛ قال تعالى

"وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان" (المائدة: ٢) وفي ذلك إشارة إلى كيفية بناء المجتمعات بناء تربويا يضمن لها السلامة في جميع الجوانب ويدفع عنها غائلة التنافر والتناحر ويهدي إلى عملية التكيف الاجتماعي ، وفي هذا الصدد أشار الأدبيات بأنه لما القيم التربوية ملتصقة بالأخلاق فالسياسة المخصصة لتدبير شؤون الناس وسيلة لوضعها موضع التطبيق الفعلي ، عبر مؤسسات اجتماعية وتربوية وعقيدية ، فقد وصلت الكثير من الوصايا ذات المضمون الاجتماعي التي تشجع على "التعاون" والتكافل ، ويؤكد الجانب الاجتماعي في الإنسان ، وهو الجانب الذي عالجه العقيدة الإسلامية من خلال تأكيدها على كرامة الإنسان ومكانته لكون خليفة الله في أرضه، فضلا عن أن التعاون يؤدي إلى التكامل بين الأدوار حيث يرى المتعاون في الآخرين أناسا مختلفين في المقومات والقدرات (Hetrogenious) فيسعى لتوظيف مقوماتهم وقدراتهم لتحقيق أهداف مشتركة بالتكامل فيما بين قدراته وقدراتهم ، والتعاون في اغلب الأحيان يكون بدافع الضرورة والشعور بالحاجة إليه لتحقيق هدف قد يعجز الفرد بمفرده أو الجماعة بمفردها عن تحقيقه ، فيلجا للتعاون مع الآخرين لانجازه ، وهو بالنتيجة تكيفا اجتماعيا .

التفاعل: Inter action:

ونعني به عمليات اجتماعية تكون استجابة للتحليلات من زوايا التنبيهات المتبادلة بين الأشخاص والجماعة ، وذلك يعني أن التفاعل من الناحية التربوية مطلوب بين الأفراد سواء ضمن المجتمع الواحد أو ضمن المجتمعات لكونه يؤدي إلى علاقات اجتماعية ، والفكر التربوي الإسلامي يحث على التفاعل الايجابي الذي في صالح الفرد والمجتمع وليس العكس، والتفاعل هو عملية متبادلة بين طرفين اجتماعيين (فردين أو جماعتين صغيرتين أو فرد وجماعة صغيرة أو كبيرة) ويجري عادة عبر وسيط معين ، لغة ، أعمال ، أشياء ، وعملية التفاعل مهمة لأنها

عملية يعلم فيها الفرد والجماعة أنماط السلوك والاتجاهات التي تنظم العلاقات بين أفراد وجماعات المجتمع الواحد في إطار القيم السائدة والثقافة والتقاليد الاجتماعية المتعارف عليها .

د . المجال الترويحي : Restful Content

المقصود بالمجال الترويحي هو؛ نشاطات سارة يقوم بها الفرد للترفيه نفسيا وجسديا بلغت المضامين التربوية للصحة النفسية في هذا المجال (٣) ثلاث مجالات وقد ترتبت حسب تكراراتها ونسبها المئوية إذ حصل الاستمتاع على المرتبة الأولى وبعدها المرح ثم النهك ، وقد تفوق الرازي على الكندي والفارابي في ذلك ، بينما لم يؤكد الكندي على أي مضمون منها والجدول يوضح ذلك

ترتيب المضامين التربوية للصحة النفسية في المجال الترويحي مرتبة تنازليا

وحسب تكراراتها

ت	المضامين التربوية	الكندي		الرازي		الفارابي		المجموع	
		تكرار	نسبة %	تكرار	نسبة %	تكرار	نسبة %	تكرار	نسبة %
١	الاستمتاع	-	-	٣	٥٠	-	-	٣	٥٠
٢	المرح	-	-	٢	٣٣ر٣	-	-	٢	٣٣ر٣
٣	النهك	-	-	١	١٦ر٦	-	-	١	١٦ر٦
	المجموع الكلي	-	-	٦	١٠٠	-	-	٦	١٠٠%

ولقد تم مناقشة ابرز هذه المضامين :-

الاستمتاع : Zest

ونعني به كل ما يضاف لإضفاء نكهة وتدل على المتعة والحيوية ، حيث أن الاستمتاع في الفكر الإسلامي قريب من المزاح وان كان جسديا فهو مشروط بمعنى أن لا يرتكب المسلم في استمتاعه ما هو محظور في الشريعة الإسلامية أو

أن يقع الفرد في موضع الشبهات ، لأن تربية هذا المضمون لاتسمح بان يقع الفرد بالفوضى سواء كانت على المستوى الشخصي أو الاجتماعي

٠٣ المقارنة في المضامين التربوية للصحة النفسية بين فكر :-

أ. الكندي والرازي

ب. الكندي والفارابي

ج. الرازي والفارابي

تعتمد المقارنات حسب اعتقادنا في مثل هكذا دراسات بالدرجة الأساس على السيرة الذاتية التي من خلالها يتم التعرف على ما قدمه الفكر الفلسفي للأشخاص الذين نذروا أنفسهم لخدمة الإنسان أولاً ثم مجتمعاتهم ثانياً ، والمقصود بما قدمه الفكر الفلسفي يعني ما تضمنه هذا الفكر من (آراء ، أفكار ، نظريات ، اتجاهات) فقد تكون هناك قواسم مشتركة تجمع بين الفلاسفة ، دينية ، بيئية ، ثقافية ، زمنية ، أو لا تكون بالمرّة وهذا ما تكشفه السيرة الذاتية

٠٤ المقارنة في المضامين التربوية للصحة النفسية بين فكر الكندي والرازي

ظهر بان التكرارات الملاحظة للمضامين التربوية للصحة النفسية قد بلغ عددها في فكر الكندي (٥٣) تكرار بينما بلغ عدد التكرارات لهذه المضامين عند الرازي (١١٢) تكرار بعد استخدام مربع كاي لعينتين مستقلتين ظهر بان قيمة مربع كاي المحسوبة بلغ (٢١١٠ر٢١) وهي ذات دلالة إحصائية عند مستوى ٠.٥ ولصالح فكر الرازي والجدول ادناه يوضح ذلك

المقارنة في المضامين التربوية للصحة النفسية بين فكر الكندي والرازي

ت	المضامين التربوية للصحة النفسية	التكرار الملاحظ	التكرار المتوقع	قيمة مربع كاي المحسوبة	القيمة الجدولية	مستوى الدلالة
١	الكندي	٥٣	٨٢ر٥	٢١١٠ر٢١	٣٨٤ر٣	دالة إحصائية عند مستوى ٠.٥ ولصالح الرازي
٢	الرازي	١١٢	٨٢ر٥			

إن ما تقدم عرضه من نتائج في الجدول أعلاه والذي اظهر غزارة فكر الرازي وما احتواه من مضامين تربوية ، ربما يعود لأسباب منها ؛ أنه وان كان فيلسوفا إلا انه كان طبيبا بارعا ، اشتهر بالطب والكيمياء والجمع بينهما ، وظل حجة في الطب في أوروبا حتى القرن السابع عشر للميلاد ، وهو في نظر المؤرخين من أعظم أطباء القرون الوسطى ، وطبيب الدولة العربية الإسلامية بلا منازع ، إلا أن الطب عند الرازي كما رأت هذه الدراسة ليس مجالا مهنيا كما هو اليوم وحسب وإنما كان مجالا أخلاقيا بالدرجة الأولى يدخل الطب ضمن إطاره وجوبا ، وهذه النظرة التربوية للإنسان والتي هي من صميم فكره جعلته كريما ، متفضلا ، بارا بالناس ، حسن الرأفة بالفقراء يداويهم ويجري عليهم الجرايات المجانية من ماله الخاص دون مقابل ، حتى دفعه حسه المرهف هذا إلى أن يوجب على طبيب الجسم أن يكون طبيبا نفسانيا أيضا ، حتى يمتلك القدرة على الإقناع بالحجج والبراهين في تعديل أفعال هذه النفوس التي ساء سلوكها (النفسي او الجسمي) فمرضت ، لأن النفس في الفكر الإسلامي اشرف من البدن وأساس هذه الفلسفة التربوية تختصر على خلفية (أن النفس خالدة والجسم فان) ، ومثل هذه التعليمات التي كان يصدرها الرازي كانت غاية في التربية والتهديب لأنها تضمّد جروح الإنسان الجسمية والنفسية ، فهذا الكم الهائل من العلم والفضل ، والخلق ربما هو الذي اظهر هذه النتيجة .

ب • المقارنة في المضامين التربوية للصحة النفسية بين فكر الكندي والفارابي

ظهر أن التكرارات الملاحظة للمضامين التربوية للصحة النفسية قد بلغ عددها في فكر الكندي (٥٣) تكرار بينما بلغ عدد التكرارات لهذه المضامين عند الفارابي (١٠٩) تكرار وبعد استخدام مربع كاي لعينتين مستقلتين ظهر بان قيمة مربع كاي المحسوبة بلغت (١٩٣٤) وهي ذات دلالة إحصائية على مستوى ٠.٠٥ ولصالح الفارابي والجدول يوضح ذلك .

المقارنة في المضامين التربوية للصحة النفسية بين فكر الكندي والفارابي

ت	المضامين التربوية للصحة النفسية	التكرار الملاحظ	التكرار المتوقع	قيمة مربع كاي المحسوبة	القيمة الجدولية	مستوى الدلالة
١	الكندي	٥٣	٨١	١٩٣٤	٣٨٤	دالة إحصائية عند مستوى ٠.٠٥ ولصالح الرازي
٢	الفارابي	١٠٩	٨١			

إن ظهور هذه النتيجة لصالح الفارابي قد يعود لأسباب منها ؛ أن الفارابي كان ميالا إلى التربية الصوفية كالتقشف والزهد والوحدة والاستغراق في التأمل ، حتى ساهمت نزعتة الروحية هذه في تكوين اتجاهه الصوفي ، وقد تابع المشتغلون ضمن الحقل الفلسفي والنفسي والتربوي سيرة حياة هذا الفيلسوف الملقب ب(المعلم الثاني) بعد المعلم الأول (أرسطو) ، فوجدوا أن تصوفه يختلف عن تصوف الصوفية ، حيث أن تصوفه نظري علمي ، إذ جعل العلم بالله سبب وصول الإنسان إلى السعادة ، بينما يذهب الصوفية إلى أن السبيل إلى السعادة هو التقشف والحرمان من اللذات الدنوية ، ومعنى هذا انه أضاف صفة للوصول إلى السعادة بالإضافة إلى

الصفات الأكثر شهرة عند المتصوفة ولولا غزارة وخصوبة المضامين التربوية في فكر الفارابي لما امتد اثر نظريته في السعادة (التوافق النفسي) إلى بعض فلاسفة العصور الحديثة مثل (اسبينوزا Spinoza) الذي ذهب إلى أن كمال النفس البشرية في أن تنزع إلى الله ، وتتجه نحوه وتحبه، وتجد في حبه لذة لا تنقطع ، وغبطة تجل عن الوصف ،

ج . المقارنة في المضامين التربوية للصحة النفسية بين فكر الرازي والفارابي

ظهر من التكرارات الملاحظة للمضامين التربوية للصحة النفسية قد بلغ عددها في فكر الرازي (١١٢) تكرر بينما بلغ عدد التكرارات لهذه المضامين عند الفارابي (١٠٩) تكرر ، وبعد استخدام مربع كاي لعينتين مستقلتين ظهر بان قيمة مربع كاي المحسوبة بلغت (٠.٢١) وهي غير ذات دلالة إحصائية عند مستوى (٠.٠٥) مما يشير إلى أن هذه المضامين لا تختلف بين فكر الرازي والفارابي والجدول يوضح ذلك

المقارنة في المضامين التربوية للصحة النفسية بين فكر الرازي والفارابي .

١	المضامين التربوية للصحة النفسية	التكرار الملاحظ	التكرار المتوقع	قيمة مربع كاي المحسوبة	القيمة الجدولية	مستوى الدلالة
١	الرازي	١١٢	١١٠.٥	٠.٢١	٣.٨٤	غيردالة احصائيا عند مستوى ٠.٠٥
	الفارابي	١٠٩	١١٠.٥			

من خلال الاطلاع على سيرة حياة الفلاسفة الثلاثة لوحظ بان الكندي المولود عام ١٨٥ والمتوفى في ٢٥٢ هجرية ، بأنه لما مات كان عمر الرازي سنتان لان الرازي ولد كما أشارت المصادر عام ٢٥٠ هجرية وتوفى عام ٣١١ ، بينما ولد الفارابي عام ٢٥٩ هجرية وتوفى عام ٣٣٩ ، اى أن الفارابي أبصر النور وعمر الرازي تسع سنوات ، ولما توفى الرازي بالسنة المشار إليها أعلاه فمعنى ذلك أن الفارابي عاصر الرازي (٥٢) عاما ، وإذا ما طرحت فترة النضوج للفرد ليفهم

الأمر الفلسفية والتربوية كحد متوسط (١٨) عام فان معاصرة الفارابي الفلسفية والتربوية للرازي هي (٣٤) عاما حقيقيا كانت في حياتهما وحياة الأمة الإسلامية ، وهذا التقارب الكبير بين الاثنين ربما هو الذي اظهر نتيجة عدم وجود فرق في المضامين التربوية بينهما لكونهما عاشا نفس فترات حكم العباسيين واكتووا بنار أزماتها وصراعاتها السياسية والتقلبات الاجتماعية هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى عاصرا نفس الفترة التي ازدهرت فيها العلوم الفلسفية والترجمة والاتصال بالحضارات الأخرى

المصادر

المصادر

❖ القرآن الكريم .

١. الإبراشي، محمد عطية (١٩٨٦): التربية الإسلامية وفلاسفتها، ط٢، دار

الكتب، القاهرة ، مصر .

٢. الألوسي ، جمال حسين (٢٠٠٨) : الصحة النفسية ، ط١، مطبعة الشروق

، بغداد .

٣. ابوريان، محمد علي(١٩٧٤): تاريخ الفكر الفلسفي في الاسلام، الاسكندرية

دار الجامعات ، مصر .

٤. أبو العينين ، علي خليل (١٩٨٠) : منهجية البحث في التربية ، مجلة

رسالة الخليج العربي ، العدد ٢٢ السنة الثامنة ، الكويت

٥. ابن منظور ، جمال الدين محمد (٢٠٠٣) : لسان العرب ، القاهرة ، دار

الحديث .

٦. أجمد، لطفي بركات (١٩٨٢) : في الفكر الإسلامي ، مطبعة دار المريخ ،

الرياض ، السعودية .

٧. احمد، نازلي صالح(١٩٨٣): مقدمة في العلوم التربوية، مكتبة الانجلو

المصرية للنشر، القاهرة ، مصر .

٨. الأزميري ، إسماعيل حقي (١٩٦٣) : فيلسوف العرب يعقوب بن إسحاق

الكندي ، مطبعة سعد بغداد ، العراق .

٩. بدوي ، عبد الرحمن (١٩٨٣) : رسائل فلسفية ، مطبعة دار الأندلس ،

بيروت لبنان

١٠. بكار ، عبد الكريم (٢٠٠٠١) : من اجل انطلاقة حضارية شاملة ، دار

القلم للطباعة ، دمشق ، سوريا .

١١. البكري، عادل(١٩٨٥): الفلسفة لكل الناس، دار الحرية للطباعة، بغداد ، العراق .
١٢. بن نبي ، مالك (١٩٧٠) : وجهة العالم الإسلامي ، ترجمة عبد الصبور شاهين ، دار الفكر للطباعة ، بيروت ، لبنان .
١٣. التكريتي ، ناجي (١٩٧٦) : ابن حزم بين الدين والفلسفة في كتابة الأخلاق، دار الحكمة العدد الأول ، بغداد .
١٤. التكريتي، بهاء الدين عبد الله(١٩٩٦): الفكر التربوي في ضوء مفهوم القرآن الكريم للطبيعة الإنسانية، أطروحة دكتوراه غير منشورة ،كلية التربية ،ابن رشد،
١٥. التميمي ، محمود كاظم والدفاعي ، كاظم علي (٢٠١٠) : الصحة النفسية ، مطبعة زاكي ، بغداد ، العراق .
١٦. الجابري ، على حسين (٢٠٠٩)،الفلسفة الإسلامية ، دراسات في المجتمع الفاضل والتربية والعقلانية ، دار الزمان للطباعة والنشر ، دمشق ، سوريا .
١٧. الجبوي ،على عبد الله(٢٠٠٧): الفكر الانثروبولوجي في التراث العربي الإسلامي ، التكوين للنشر والتأليف والترجمة ، دمشق .
١٨. الجزيني، سمعان (ب ت):في الفلسفة الإسلامية، دار الوحدة للطباعة، بيروت لبنان.
١٩. الجعفري ، ماهر إسماعيل وآخرون (١٩٩٣) : فلسفة التربية ، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر ، بغداد ، العراق .
٢٠. جعيني ، نعيم حبيب (٢٠١٠) : الفلسفة وتطبيقاتها التربوية ، ط٢ ، دار وائل للنشر ، الاردن .
٢١. الجماس ، ضياء الدين (١٩٩٣) : مع الله في اعماق النفس الانسانية ، مركز نور الشام للكتاب ، سوريا
٢٢. الجنابي ، داود عثمان (٢٠١٢) :الطبيعة الإنسانية وأهداف التربية وأساليبها في القرآن الكريم ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية التربية الاساسية جامعة ديالى

٢٣. الجنابي، شروق كاظم (١٩٩١): مقياس الصحة النفسية لدى طلبة كلية الجامعة، كلية التربية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، الجامعة المستنصرية.
٢٤. حجازي، مصطفى (٢٠٠٦): الصحة النفسية من منظور دينامي تكاملي للنمو في البيت والمدرسة، دار الشروق للطباعة، عمان، الأردن.
٢٥. الحسن، كريم جبر (٢٠٠٤): أسس الحضارة الإسلامية، دار الهادي للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.
٢٦. ألعفني، عبد المنعم (١٩٩٤): موسوعة علم النفس والتحليل النفسي، مكتبة مدبولي، مصر.
٢٧. ألعفني، عبد المنعم (٢٠٠٥): موسوعة عالم علم النفس، ط١، دار نوبلس للطباعة، بيروت، لبنان.
٢٨. حمادة، عبد المنعم، (١٩٧٣): رواد الفلسفة الإسلامية، ط١، مكتبة الانجلو مصرية، مصر.
٢٩. حوى، سعيد (٢٠٠٥): المستخلص في تزكية النفس، دار السلام للطباعة والنشر، مصر.
٣٠. الخطيب، صفية (١٩٨١): الطب عند العرب، ط١، الاهلية للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.
٣١. الداهري، صالح والعبيدي، ناظم (١٩٩٩): الشخصية والصحة النفسية، دار الكندي للنشر، اربد، الأردن.
٣٢. دافيدوف، ل، لندا (١٩٨٠): مدخل علم النفس، ترجمة سيد طواب واخرون، القاهرة.
٣٣. داود، عزيز حنا، والعبيدي، ناظم هاشم (١٩٩٠): علم النفس الشخصية، مطبعة بغداد، العراق.
٣٤. الدباغ، فخري (١٩٧٤): أصول الطب النفساني، دار الطليعة للطباعة والنشر، جامعة الموصل، نينوى.

٣٥. الدليمي ، نوال إبراهيم (١٩٩٥) : الفكر التربوي في وصايا الخلفاء العباسيين (العصر الأول ١٣٢-٢١٨) دراسة تحليلية ، أطروحة دكتوراه ، كلية التربية ، ابن رشد ، جامعة بغداد .
٣٦. راجح، احمد عزت (١٩٧٣) : أصول علم النفس، ط٩، المكتب المصري للطباعة، الإسكندرية ، مصر .
٣٧. رزوق ، اسعد وعبد الدايم ، عبدالله (١٩٧٧) : موسوعة علم النفس ، مطبعة الشروق ، بيروت ، لبنان .
٣٨. رسول ، خليل إبراهيم (١٩٨٠): تقييم كتب العلوم والتربية الصحية للمرحلة الابتدائية ، المكتبة الثقافية لنقابة المعلمين ، بغداد ، العراق .
٣٩. رضا، محمد جواد (١٩٨٧): العرب والتربية والحضارة ، ط٣، منشورات دار السلاسل، الكويت .
٤٠. رضوان، سامر جميل (٢٠٠٩): الصحة النفسية، ط٣، دار المسيرة للطباعة ، عمان .
٤١. الرفاعي، نعيم (١٩٧٥) : الصحة النفسية دراسة سيكولوجية التكيف، ط٤، مطبعة أكتبي، دمشق، سوريا .
٤٢. الرفاعي ، نعيم (١٩٨١) : الصحة النفسية دراسة سيكولوجية التكيف ، ط٥ ، مطبعة أكتبي ، دمشق ، سوريا .
٤٣. رمل ، فاتن داود (٢٠٠٨) : بناء منظومة قيم تربوية للتنشئة الاجتماعية في ضوء القرآن والحديث النبوي الشريف ، رسالة ماجستير غير منشورة كلية التربية ، ابن رشد ، جامعة بغداد .
٤٤. روزنتال، وآخرون (١٩٨٥) : الموسوعة الفلسفية، ترجمة سمير كرم، دار الطليعة للطباعة ، بيروت ، لبنان .
٤٥. رياض، سعد (٢٠٠٨): موسوعة علم النفس والعلاج النفسي من منظور إسلامي، دار ابن الجوزي للطباعة للنشر، القاهرة، مصر .
٤٦. الزبيدي، كامل علوان والهزاع ، سناء مجول (١٩٩٧) : بناء مقياس للصحة النفسية لطلبة الجامعة ، مجلة العلوم التربوية والنفسية ، العدد ٢٢ ، بغداد .

٤٧. الزراد ، فيصل محمد (١٩٨٤) : علاج الأمراض النفسية والاضطرابات السلوكية ، ط ١ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان .
٤٨. زهران ، حامد عبد السلام (١٩٧٧) : الصحة النفسية والعلاج النفسي ، عالم الكتب ، القاهرة ، مصر .
٤٩. الزهيري، عبد الكريم محسن(٢٠٠٣):الفكر التربوي في العراق خلال القرن العشرين،
٥٠. الزوبعي، ناصر هراط (١٩٩٩): الصحة النفسية وعلاقتها بالتفاعل الاجتماعي لدى طلبة جامعة بغداد، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد .
٥١. زيعور ،علي (ب٠ت) : مذاهب علم النفس المعاصر ، مطبعة بيروت ، لبنان .
٥٢. السحيباني ، حمد بن صالح (٢٠٠٢) : الضعف المعنوي وأثره في سقوط الأمم ، ط ١ ، مطبعة لبيان ، الرياض ، المملكة العربية السعودية .
٥٣. سعيد، ابوطالب وعبد الخالق،رشراش أنيس(ب،ت): عوامل التربية الجسمية والنفسية والاجتماعية، دار النهضة العربية للطباعة، بيروت، لبنان
٥٤. سلطان ، محمود السيد وإسماعيل ، صادق جعفر (١٩٧٧) : مسار الفكر التربوي عبر العصور ، ط ٢ ، مطبعة القاهرة ، مصر .
٥٥. صالح ، ذياب واخرون ، (٢٠٠٨) : اسس التربية ، ط ٤ ، دار الفكر للطباعة ، عمان ، الاردن .
٥٦. صالح، قاسم حسين(١٩٨٧): الشخصية بين التنظير والقياس،مطبعة وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، بغداد .
٥٧. صليبا ، جميل (ب ت) : علم النفس ، دار الكتاب المصري ، ط ٣ ، القاهرة ، مصر .
٥٨. العدوي، خليفة(٢٠٠٦): قضايا فلسفية ، ط ١، دار الفكر العربي، القاهرة ، مصر .

٥٩. الطباع ، عمر فاروق و الهاشمي ،عبد المنعم (١٩٩٣) : الكندي فيلسوف العرب والاسلام ، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان .
٦٠. طراد، مجيد مخلف (١٩٨٥): العدالة عند فلاسفة الاسلام من الكندي الى ابن سينا ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الاداب ، جامعة بغداد .
٦١. عاقل ، فاخر (١٩٧٧) : معجم علم النفس، دارالعلم للملايين ، ط٢ ، بيروت، لبنان .
٦٢. عاقل، فاخر(ب،ت) : التربية قديما وحديثا، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان .
٦٣. العبد، عبد اللطيف(١٩٧٧): اصول الفكر الفلسفي عند ابي بكر الرازي ، مكتبة الانجلو المصرية ، مصر .
٦٤. عبد الواحد ،ناظم (٢٠٠٨): موسوعة المصطلحات السياسية والفلسفية،والدولية ،دار النهضة ، بيروت، لبنان .
٦٥. ، زيدان (١٩٧٤) : قواعد البحث الاجتماعي ، ط٢ ، دار المعارف ، مصر .
٦٦. عبد الغفار ، عبد السلام (١٩٧٦) : مقدمة في الصحة النفسية ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، مصر .
٦٧. عبد الغفار ، عبد السلام (١٩٧٧) : مقدمة في الصحة النفسية ، ط٢ ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، مصر .
٦٨. العثمان، عبد الكريم(١٩٨١): الدراسات النفسية عند المسلمين والغزالي بوجه خاص ، دار غريب للطباعة ، القاهرة ، مصر .
٦٩. عدس ، عبد الرحمن وقطامي ، نادية (٢٠٠٢) : مبادئ علم النفس ، ط٢ ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، عمان .

٧٠. عفيفي ، محمد عبد الهادي (١٩٨٤) : المربي والتربية الإسلامية ، دار البيان العربي ، المملكة العربية السعودية .
٧١. عكاشة ، احمد (١٩٩٣) : علم النفس الفسيولوجي ، ط٢ ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، مصر .
٧٢. عرب ، محمد (٢٠٠٥) : شرائع النفس والعقل والروح ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، سوريا .
٧٣. العسكري ، كفاح يحيى (٢٠١٠) : الغزالي وجون ديوي نظرتهما للطبيعة الإنسانية ، مطبعة رند ، دمشق .
٧٤. عقاد ، الخواض (١٩٩٥) : الاجتهاد والتجديد في الشريعة الإسلامية ، ط١ ، البحوث للطباعة ، عمان ، الأردن .
٧٥. علي ، سعيد إسماعيل (١٩٧٧) : دراسات في الفلسفة والتربية ، عالم الكتب للطباعة ، القاهرة ، مصر .
٧٦. عودة ، محمد (١٩٨٣) : الصحة النفسية ومشكلات المجتمع الكويتي ، منشورات المؤتمر الخليجي ، الكويت .
٧٧. عودة ، احمد وملكاوي فتحى (١٩٩٢) : أساسيات البحث العلمي في التربية والعلوم الإنسانية ، ط٢ ، دار الفكر للنشر ، عمان .
٧٨. عيون السود ، نزار (١٩٩٥) : نشوء وتطور الفكر النفسي-الاجتماعي عند العرب ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، مطبعة اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، سوريا .
٧٩. الغامدي ، يحيى (٢٠١٢) : الصحة النفسية في الإسلام ، منشورات جامعة الملك عبد العزيز ، جدة ، السعودية .

٨٠. غنيم ، سيد محمد (١٩٧٣) : سيكولوجية الشخصية الناجحة ، مطبعة القاهرة ، القاهرة ، مصر .
٨١. فرحان، محمد جلوب (١٩٨٩): دراسات في فلسفة التربية، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة الموصل .
٨٢. فرويد ، سيجموند (١٩٦٧) : حياتي والتحليل النفسي ، ترجمة مصطفى كرم ، دار المعارف ، القاهرة
٨٣. فرويد ، سيجموند (١٩٨٢) : الأنا وألوهو ، ترجمة محمد عثمان نجاتي ، دار الشروق ، بيروت ، لبنان .
٨٤. ألفي ، إبراهيم (٢٠٠٠) : القيادة ، ط ١ ، مطبعة بيروت ، بيروت ، لبنان
٨٥. الفنيش، احمد (١٩٧٨): أصول التربية، ط٢ ، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان .
٨٦. فهمي ، مصطفى (١٩٧٨) : الصحة النفسية ، القاهرة ، مكتبة الخانجي ، مصر .
٨٧. القاضي ، يوسف وآخرون (١٩٨١) : الإرشاد النفسي والتوجيه التربوي ، دار المريخ للنشر، الرياض ، المملكة العربية السعودية
٨٨. القبانجي، احمد (٢٠٠٣): الإسلام والصحة النفسية ، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، ط٢/ مطبعة السرور ، ايران .
٨٩. قطب ، محمد (١٩٧٩) : دراسات في النفس الإنسانية ، دار الشروق ، القاهرة ،
٩٠. القمودي ، سالم (١٩٩٧) : الإنسان ليس عقلا ، وكالة الأهرام للتوزيع ، مطابع الأهرام ، مصر
٩١. القيسي ، نايف (٢٠١٠) : المعجم التربوي وعلم النفس ، دار أسامة للنشر والتوزيع ، عمان الأردن .
٩٢. الكبيسي ، وهيب مجيد (٢٠٠٢) : التوجيه التربوي والإرشاد النفسي بين النظرية والتطبيق ، منشورات ELGA ، مالطة

٩٣. الكبيسي ، وهيب مجيد (٢٠١٠) : الإحصاء التطبيقي في العلوم الاجتماعية ، مؤسسة مرتضى للكتاب العراقي ، بغداد
٩٤. الكبيسي ، وهيب مجيد (٢٠١١) : طرائق البحث العلمي بين التنظير والتطبيق ، فينوس للحاسبات والطباعة والترجمة ، بغداد
٩٥. الكبيسي ، وهيب مجيد (٢٠١٢) : الاتجاهات النظرية للصحة النفسية ، مطبعة وزارة التربية ، بغداد ، العراق
٩٦. لالاند، اندريه (٢٠٠٨) : موسوعة لالاند الفلسفية ن معجم مصطلحات الفلسفة النقدية والتقنية، تعريب، خليل احمد ، عويدات للنشر للطباعة والنشر ، بيروت .
٩٧. محمد ، محمد جاسم (٢٠٠٤) : مشكلات الصحة النفسية أمراضها وعلاجها ، دار الثقافة ، عمان ، الأردن .
٩٨. مذكور ، إبراهيم (١٩٧٦) : في الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيق ، الجزء الثاني ، دار الكتاب ، مصر .
٩٩. محسن، موفق أيوب (٢٠٠٥): اثر برنامج إرشادي للصحة النفسية لطلبة كلية التربية الأساسية جامعة ديالى ، رسالة ماجستير غير منشورة ، المعهد العالي للدراسات التربوية النفسية ، بغداد . العراق .
١٠٠. المرزوقي ،آمال (١٩٩٥) : المضامين التربوية في سورة البقرة ، ج١٧ ، عالم الكتب ، القاهرة ، مصر .
١٠١. مرسي ، كمال إبراهيم (١٩٨٨) : المدخل إلى علم الصحة النفسية ، دار العلم ، الكويت .
١٠٢. مرسي، محمد منير(١٩٨٣): التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية ، عالم الكتب للطباعة ، القاهرة ، مصر
١٠٣. مرعي ، توفيق وبلقيس ، احمد (١٩٨٢) : الميسر في علم النفس الاجتماعي ، دار الفرقان للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن .

١٠٤. مسكويه ، احمد بن محمد بن يعقوب (١٩٨١): من تهذيب الاخلاق ، تحقيق سهيل عثمان ، منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي ، دمشق سوريا .
١٠٥. مصطفى ، عبد الله (١٩٩٣) : معالم الطريق في عمل الروح الإسلامي ، ط١ ، عمان ، الأردن .
١٠٦. المعاينة ، خليل عبد الرحمن (٢٠٠٦) : المدخل إلى أصول التربية الإسلامية ، ط١ ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، الأردن .
١٠٧. ملحم ، سامي محمد (ب . ت) الإرشاد والعلاج النفسي، الأسس النظرية والتطبيقية ، دار المسيرة للطباعة ، عمان ، الأردن .
١٠٨. الموسوي ، عبد الله حسن (٢٠٠٨) : الفكر الإسلامي وعقبات عالمنا المعاصر رؤية مستقبلية ن مجلة الدراسات الإسلامية ، العدد (٨) بيت الحكمة بغداد .
١٠٩. مؤنس ، حسين (١٩٩٣) : طبقات الأمم ، دار المعارف للطباعة ، القاهرة ، مصر .
١١٠. المهدي، السيد محمد عقيل (١٩٩٧): الأخلاق عند الفلاسفة في اليونان والقرون الوسطى، ط١، دار الحديث ، القاهرة ، مصر .
١١١. المنصور، ابراهيم يوسف(١٩٧٥): استبيان هوستون المعرب للتكيف الشخصي، مركز البحوث التربوية والنفسية ، جامعة بغداد .
١١٢. نادر ، البير نصري (١٩٨٦) : الجمع بين رأيي الحكيمين ، دار الشروق ، ط٢ ، بيروت ، لبنان .
١١٣. ناصر، إبراهيم (٢٠٠١): فلسفات التربية، ط١، وائل للطباعة، عمان، الاردن .
١١٤. نجاتي ، محمد عثمان (١٩٨٢) : القران وعلم النفس ، دار الشروق ، القاهرة ، مصر .
١١٥. نجاتي، محمد عثمان (١٩٩٣): الدراسات النفسانية عند العلماء المسلمين ، دار الشروق للطباعة ، القاهرة، مصر .

١١٦. نصري ، هاني يحيى (ب٠ت) : علم النفس دراسة الحواس الداخلية عبر السلوك اليومي للإنسان ، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم للنشر .
١١٧. نعمة ، إبراهيم (١٩٨٦) : المسلمون أمام تحديات الغزو الفكري ، مطبعة الزهراء ، الموصل ، العراق .
١١٨. وهبة ، مراد (١٩٧٩) : المعجم الفلسفي ن ط٣، دار الثقافة الجديدة، القاهرة، مصر
١١٩. ياسين ، السيد (١٩٨٥) تحليل مضمون الفكر التربوي القومي العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ط٣ ، بيروت ، لبنان .
١٢٠. الهاشم، صالح مهدي(٢٠٠٧): الدخول من الباب الآخر، ط١، دار المحجة البيضاء للنشر، بيروت، لبنان .
١٢١. إلهيتي، خلف نصار(١٩٧٧):القيم السائدة في صحافة الأطفال العراقية، رسالة ماجستير، الجامعة المستنصرية .

